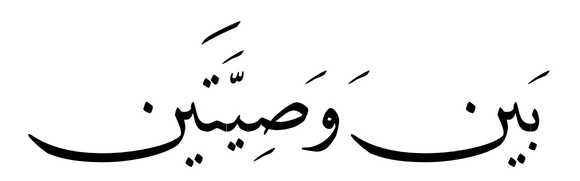


بين وصيتين

دراسة تأريخية إستدلالية لمسار أتباع أهل البيت عليهم السلام في ضوء وصيتين من أهم الوصايا

التي صدرت عن المعصومين عليهم السلام .

بقلم

خادم أهل البيت

حسين علي الطفيلي

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

- **"وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون"** (الانعام ١٥٣)

- **"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا" (النساء ٥٩)**

- **"فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب"** (النساء ١٧ -١٨)

وورد في الحديث الشريف :

- **عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لكميل بن زياد في وصيته له : "يا كميل ! لا تأخذ إلا عنا ، تكن منا" .** وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٠٣

- **عن الامام الرضا (عليه السلام) : "يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه"** عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٧٢

- **عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال لي : "ان الحكم بن عتيبة ممن قال الله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين فليشرق الحكم وليغرب اما والله لا يصيب العلم الا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام" . وفي حديث اخر عن أبي جعفر عليه السلام : "فقال اللهم لا تغفر له ذنبه ما قال الله للحكم إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون فليذهب الحكم يمينا وشمالا فوالله لا يوجد العلم الا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل" .** بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٩ - ٣٠

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله باريء الخلق ومصورهم ومدبر امورهم . وصلى الله على محمد المصطفى وعترته خير الورى ائمة الهدى ومصابيح الدجى وحجج الله على اهل الدنيا .

مما لا شك فيه ان مفهوم الوصية يعد مما تضمنته دعوات الانبياء على مدى تاريخ الرسالات . وهذا ما اشارت اليه بعض الايات القرانية بوضوح . ففي قوله تعالى : "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين" (١) ، وقوله تعالى : "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (٢) ، وقوله تعالى: "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (٣) اشارات الى ان الدين مبني ومرتكز على الوصايا ، وهذا راجع طُـلاً الى كون دين الله لا جبرَ فيه كما لا تفويضَ فيه ، قال صادق العترة عليه السلام : "لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين " (٤) .

فالله تعالى وعن طريق رسله وأنبيائه لا يجبر عباده على الطاعة بل يوصيهم بوصاياه ويعلمهم ما يرضيه وما يسخطه ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

كذلك فان الشريعة قد ندبت الى أن يكون للمؤمن وصية يوصي بها من يعنيه أمرهم تتعلق بشؤونه هو وشؤونهم ايضا ، قال تعالى : "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين" (٥).

ولو رجعنا الى كتب الحديث لوجدنا ائمة العترة قد فصّلوا في موضوع الوصية وأحكامها . فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله ..... الى ان يقول : والوصية حق على كل مسلم أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها . (٦)

---

(١) النساء ١١ (٢) الشورى ١٣

(٣) البقرة ١٣٢

(٤) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٦٠ .

(٥) البقرة ١٨٠

(٦) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ٢

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الوصية فقال : هي حق على كل مسلم (١) .
وقال أبو جعفر (عليه السلام) الوصية حق وقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فينبغي للمسلم أن يوصى . (٢)

لكن أهمية الوصية تتعلق بمنزلة الموصي بها .فكلما كان الموصي عظيم القدر شريفاً جليلاً عظمت تبعاً لذلك وصيته وارتفع شأنها . ومن هذا المنطلق أولى كتاب الله وصايا الانبياء إهتماماً بالغاً كونها صدرت منهم رعاية لصالح العباد ولم تصدر عن منافع شخصية ونظرة قاصرة كما هو شأن وصايا عوام الناس وبسطائهم .

وإِني لأَعتقد جازماً بأن أعظم الوصايا على الاطلاق هي تلك التي صدرت عن أهل بيت العصمة والرسالة صلوات الله وسلامه عليهم ، إبتداءً بسيد الخلائق أجمعين محمد المصطفى صلى الله عليه واله ، وانتهاء بالامام الثاني عشر المهدي المنتظر الحجة ابن الحسن صلوات الله وسلامه عليه وعلى ابائه .

وهذه السطور تتناول بالتحليل والدراسة المنهج الذي سار عليه أتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام في إطار وصيتين من أهم الوصايا على الاطلاق صدرتا منهم سلام الله عليهم لمدخليتهما في تحديد أسس وملامح مسار الشيعة بعدهما .

الوصية الاولى صدرت من النبي الاكرم محمد صلى الله عليه واله يوصي فيها بالمنهج الذي يضمن هداية الامة ويعصمها من الضلال . والوصية الثانية صدرت من خاتمة الائمة وحجة الله على الامة الامام الحجة ابن الحسن عليه السلام يوصي فيها شيعته كيف يتصرفون ليستمروا على طريق الائمة بعد الغيبة .

ونحن هنا لا نقصد أنه لا توجد وصايا أخرى غير هاتين الوصيتين ، فكلمات النبي والائمة الاطهار التي هي وصايا للمؤمنين أكثر من أن تحصى ، لكننا خصصنا هاتين الوصيتين بهذا البحث كونهما تمثلان نقطتي تحول في مسار الشيعة على مستوى المنهج العملي وكونهما تحددان ملامح هذا المنهج .

سائلين المولى جلت قدرته أن يثبتنا على منهج الولاية ويعصمنا من السبل التي إتبعها أقوام فتفرقت بهم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

خادم أهل البيت

حسين علي الطفيلي

٦جمادى الاخرة ١٤٣٨ هـ

---

(١)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ٣ .

(٢)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ٣ .

الفصل الاول :

الوصية الاولى : حديث الثقلين

لقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه واله) المسلمين بوصية يحق لنا أن نسميها الوصية العظمى كونها أعطت البشرية عامة والمسلمين خاصة مفتاح الهداية والامن من الضلال . تلك هي وصيته المسماة حديث الثقلين وما أدراك ما حديث الثقلين . حديث الثقلين تناقله المسلمون بمختلف مذاهبهم وسودوا به صحائف كتبهم الحديثية . وضبطوا أسانيده عن ثقاتهم ورجالهم وبلغوا بطرقه حداً من الكثرة بحيث قلما يتأتى لحديث هذه الكثرة من الطرق في الاسناد . حتى أن السيد هاشم البحراني قد أوصل طرقه عند أهل السنة الى (٣٩) حديثا وعند الشيعة الى (٨٢) حديثا (١) . وكما يبدو للباحث المتتبع فإن رسول الله (صلى الله عليه واله) قد صرح بهذه الوصية في أكثر من موضع ، فمرة في حجة الوداع بعرفة وأُ خرى في المدينة حال مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وثالثة في غدير خم ،ورابعة لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف ، وما هذا الحرص منه صلى الله عليه واله على تكرار هذه الوصية إلا لعظم خطرها ومبلغ أهميتها في رسم الطريق التي يجب على الامة إتباعها إذا أرادت أن تأمن الضلال .

وقد أخرج محمد بن الحسن الصفار حديث الثقلين في كتابه بصائر الدرجات بأكثر من صيغة إخترنا منها صيغتين :

- حدثنا علي بن محمد عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود عن يحيى بن أديم عن شريك عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام دعا رسول الله أصحابه بمنى قال يا أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ثم قال أيها الناس إنى تارك فيكم حرمات الله كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام ثم قال أبو جعفر عليه السلام لَمّا كتاب الله فحرفوا ولَمّا الكعبة فهدموا ولَمّا العترة فقتلوا وكل ودايع الله فقد تبروا . (٢)

- حدثنا محمد بن الحسين عن النضر بن شعيب عن خالد بن ماد القلانسي عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لا تضلوا ولا تبدلوا وإني سألت اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فأعطيت ذلك قالوا وما الثقل الأكبر وما

---

(١) (غاية المرام ج٢ ص٣٠٤ و ص٣٢١) .

(٢) بصائر الدرجات ص ٤٣٤ .

الثقل الأصغر قال الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي . (١)

كما أخرجه الكليني في الكافي : (..... قلت : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي فقال : الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في آخر خطبته يوم قبضه الله عز وجل إليه : إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين - وجمع بين مسبحتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين المسبحة والوسطى - فتسبق إحداهما الأخرى ، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا) . (٢)

وفي عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق يرويه الامام الرضا (عليه السلام) في مجلس المأمون محتجاً به على من حضره من العلماء في محاورة مهمة يبين فيها الامام كثيراً من الامور ويضع النقاط على الحروف لكثير من القضايا :

- حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنهما قالا : حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فقالت العلماء : أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام : لا أقول كما يقولون ولكني أقول : أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون : وكيف عنى العترة من دون الأمة ؟ فقال له الرضا عليه السلام : انه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل : (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) الآية فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون : من العترة الطاهرة ؟ فقال الرضا عليه السلام : الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهم الذين قال رسول الله (ص) : انى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم . قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الأل أم غير الال ؟ فقال الرضا عليه السلام : هم الال فقالت العلماء : فهذا رسول الله (ص) يؤثر عنه أنه قال : أمتي آلى وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه آل محمد أمته فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني فهل تحرم الصدقة على الال فقالوا : نعم قال : فتحرم على الأمة قالوا : لا قال : هذا فرق بين الال والأمة ويحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون اما علمتم انه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟ قالوا : ومن أين يا

---

(١)نفس المصدر السابق .

(٢)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤١٥

أبا الحسن ؟ فقال من قول الله عز وجل : (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) فصارت وراثه النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين اما علمتم ان نوحا حين سأل ربه عز وجل : (فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين) وذلك أن الله عز وجل وعده ان ينجيه وأهله فقال ربه عز وجل : (يا نوح انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون الجاهلين) فقال المأمون : هل فضل الله العترة على سائر الناس ؟ فقال أبو الحسن : ان الله عز وجل ابان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون : وأين ذلك من كتاب الله ؟ فقال له الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم) وقال عز وجل في موضع آخر : (أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) ثم رد المخاطبة في اثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) يعنى الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل : (أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك هيهنا هو الطاعة لهم فقالت العلماء : فأخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا عليه السلام فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنا عشر موطنا وموضعا . فأول ذلك قوله عز وجل : (وانذر عشيرتك الأقربين) ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود وهذه منزله رفيعه وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الال فذكره لرسول الله (ص) فهذه واحده .....) . (١)

وكما نلاحظ فان الامام يبين في هذا الحديث معنى العترة الذي ينبغي للامة الوقوف عنده ولا تتكلف معانٍ باطلة تذهب بها الى الضلال . فقد صرح الامام الرضا بان العترة هم الآل الذين حرمت عليهم الصدقة . فالعترة هم أهل البيت الذين أوصى رسول الله أمته أن تتمسك بهم مع القران فمن هم هؤلاء ؟ وهل سماهم رسول الله ؟

نقل الشيخ الطوسي (رحمه الله) في مجالسه عن جماعة عن أبي المفضل عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمي عن أبيه عن عمار أبى اليقظان عن أبي عمر زاذان قال لما وادع الحسن بن علي (ع) معاوية صعد معاوية المنبر وجمع الناس فخطبهم وقال إن الحسن بن علي (ع) رآني للخلافة أهلاً ولم ير نفسه لها أهلاً وكان الحسن (ع) أسفل منه بمرقاة فلما فرغ من كلامه قام الحسن (ع) فحمد الله بما هو أهله إلى أن قال (ع): " ولما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال صلى الله عليه وآله اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فلم يكن أحد يجنب في المسجد ويولد له فيه الا النبي وأبى تكرمة من الله تعالى لنا وتفضيلاً منه لنا " . (٢)

---

(١)عيون أخبار الرضا (ع) - ج ٢ - ص ٢٠٧ – ٢٠٩

(٢)مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١ - ص ٤٦٠

-القران مع العترة :

لما كان القران هو الكتاب المبين الذي فيه تبيان كل شيء حتى تقوم الساعة ، ولما كان رسول الله قد بين للامة ان الائمة بعده اثنا عشر اولهم علي ابن ابي طالب واخرهم القائم المهدي ، وانهما – القران والائمة – لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، فان الائمة بناء على ما تقدم هم عدل القران وصنوه ، روي عن رسول الله صلى الله عليه واله : " في كل خلف من امتي عدول من اهل بيتي ، ينفون عن هذا الدين تحريف المضلين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، الا وان ائمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون " (١)

. وقد روينا فيما تقدم كيف إن أمير المؤمنين وصف شدة التلازم وعدم الافتراق بين القران والعترة بل وتساويهما بحيث أنه جعلهما كالمسبحتين لا كالمسبحة والوسطى لبيان عدم تقدم أحدهما على الاخر : (فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين - وجمع بين مسبحتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين المسبِّحة والوسطى - فتسبق إحداهما الأخرى ، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا) (٢) .

والقران هو دستور هذا الدين وميثاقه الباقي الى يوم الدين ، إذن فالائمة من أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم هم المتكفلون بنفي كل تحريف وإزالة كل زيف وشبهة عن كتاب الله تعالى ويرفعون عنه انتحال كل مبطل من أعداء الحق والهدى .كما أنهم هم المفزع والملاذ إذا استولى على الامر الجهلاء الذين يأولون كتاب الله بجهلهم .

فالائمة هم لسان القران الناطق وصوته الباقي أبد الدهر ،وهم النور الذي أُنزل معه ، وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام قد وصف القران بقوله : "وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تنهزم اعوانه " (٣) .

وقال فيه أيضاً : " كتاب الله تبصرون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله " (٤) ، فإنه سلام الله عليه قد وصف أهل هذا الكتاب وعدول القران بقوله : "فالتمسوا ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل ، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق" (٥) كما وصفهم بقوله : "وإنما الائمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا

---

(١) كنز الفوائد لابي الفتح الكراجكي ص ١٥٢

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤١٥

(٣) (٤) نهج البلاغة - ج٢ ص١٧

(٥) نهج البلاغة خطبة ١٤٧ – ج٢ص٣٣

يدخل النار الا من انكرهم وانكروه " (١) .

إن كل الصيغ التي روي فيها حديث الثقلين تتفق على اقتران الكتاب بالعترة ، ولا تقول بأخذ الكتاب لوحده بمعزل عن العترة ،نعم قال الثاني حسبنا كتاب الله رداً على قول رسول الله صلى الله عليه واله هاتوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده بأداً ،مانعاً الامة من هذه النعمة العظيمة مما جلب للاسلام كل بلاء عظيم لا زالت تداعياته تؤثر عليه .

بل اتفقت كلمة الشيعة قديما وحديثا على أن عدل الكتاب وترجمانه وخزانه هم أهل البيت عليهم السلام . ففي نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه . ألا إن فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم . (٢)

وعن سدير قال : قلت جعلت فداك ما أنتم قال نحن خزان الله على علم الله نحن تراجمة وحي الله نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض (٣) .

وأخرج الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام : .... ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الأمة في شئ من أمر الله إلا عندنا علمه من كتاب الله ...(٤)

وفي بصائر الدرجات عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء . وفيه أيضا عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : مامن أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله الا كذاب وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله الا علي بن أبي طالب و الأئمة من بعده (٥) .

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه (٦) .

بل ورد في بعض الكتب أن علياً افضل لكم من كتاب الله ، حديث روى محمد بن أحمد القمي في كتابه مائة منقبة بسنده عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام (واعلموا أنعلياً لكم أفضل من

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٢ – ج٢ ص٤١

(٢)نهج البلاغة - ج ٢ - ص ٥٣ – ٥٤ .

(٣) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ١٢٤

(٤) الكافي - ج ٧ - ص ٧٨

(٥)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢١٣

(٦)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢١٦ .

كتاب الله لأنه مترجم لكم عن كتاب الله تعالى) . (١)

و وأورد الديلمي في ارشاد القلوب عن زيد : وأن علي بن أبي طالب هو أفضل لكم . (٢) .

من هنا يتضح إن فهم القران وإمكانية الأخذ به لا يتأتى الا لمن جعل العترة باباً له وترجمانه الذي يشرح معانيه ويبين ظواهره وبواطنه .

وحقيقة فإن فهم العلاقة بين القران والعترة مما قد يستغلق على الفطن اللبيب ما لم يسلم لهما ولا يرد عليهما ، فمن جهة يكون القران هو الموصل للعترة ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، قال: "يهدي إلى الإمام" ، وعن أبي إسحاق قال إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، قال: يهدي إلى الإمام ، وعن أبي جعفر (عليه السلام) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، قال :"يهدي إلى الولاية" (٣) . ومن جهة اخرى تكون العترة هي المبينة للقران والشارحة لمعانيه والكاشفة عن بواطنه كما ظهر لنا من خلال حديث أهل البيت .

-التفسير بالرأي :

لقد شدد أهل البيت على النهي عن التفسير بالرأي وكرروا ذلك في كلامهم . وحذروا من يفسر القران برأيه من الكفر والضلال والهلاك ودلوا شيعتهم على من عنده تفسير القران وتأويله .

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له قال : إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه ، فعلم بالعلم جهله ، وبصر به عماه ، وسمع به صممه ، وأدرك به (ما قد فات) ، وحيى به بعد إذ مات ، فاطلبوا ذلك من عند أهله (وخاصته) ، فإنهم خاصة نور يستضاء به ، وأئمة يقتدى بهم ، هو عيش العلم ، وموت الجهل ، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه . (٤)

وعن رسول الله صلى الله عليه واله : ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب ، ومن أفتى الناس بغير علم فلعنته ملائكة السماوات والأرض ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة سبيلها إلى النار . (٥)

وعن الامام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في (تفسيره) عن آبائه ، عن النبي

---

(١)مائة منقبة - محمد بن أحمد القمي - ص ١٦١

(٢) ارشاد القلوب : ص٣٧٨ وعنه غاية المرام : ٢١٤ ح ٢٠ والبرهان : ١ / ٢٨ ح ١٥ .

(٣)تفسيرالبرهان ج٣ص٥٠٩ ومن جهة أخرى فأن العترة هم المبينون لمعانيه .

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٨٥

(٥) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٥٦ – ٢٥٧

(صلى الله عليه وآله) - في حديث - قال : أتدرون متى يتوفر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم (يقل في والقرآن برأيه) ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به ، وقال : عليكم بالقرآن فإنه الشفاء النافع ، والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ثم قال : أتدرون من المتمسك به الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، فأما من قال في القرآن برأيه فان اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . (١)

وعن زيد الشحام قال : دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (عليه السلام) فقال : يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ قال : هكذا يزعمون فقال أبو جعفر (عليه السلام) : بلغني أنك تفسر القرآن ؟ فقال له قتادة : نعم ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) بعلم تفسره أم بجهل ؟ قال : لا بعلم ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك ؟ قال قتادة : سل قال : أخبرني عن قول الله عز وجل في سبأ : " وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " فقال قتادة : ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه ؟ قال قتادة : اللهم نعم ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل : " واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم " ولم يعن البيت فيقول : إليه ، فنحن والله دعوة إبراهيم (عليه السلام) التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا ، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة ، قال قتادة : لا جرم والله لا فسرتها إلا هكذا ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به . (٢)

وعن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يوجر ، وإن أخطأ خر أبعد من السماء . وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ليس شئ أبعد من عقول الرجال عن القرآن .(٣)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية

---

(١)وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ٣٣

(٢)الكافي - ج ٨ - ص ٣١٠ - ٣١٢

(٣) وسائل الشيعة (الإسلامية) - ج ١٨ - ص ١٤٩

ينزل أولها في شئ ، وأوسطها في شئ ، وآخرها في شئ . (١)

وعن جابر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا جابر إن للقرآن بطنا وللبطن ظهرا ، وليس شئ أبعد من عقول الرجال منه ، إن الآية لينزل أولها في شئ وأوسطها في شئ ، وآخرها في شئ ، وهو كلام متصرف على وجوه . (٢)

وعن أبي جعفر (عليه السلام) أن رجلا قال له : أنت الذي تقول : ليس شئ من كتاب الله إلا معروف ، قال : ليس هكذا قلت إنما قلت : ليس شئ من كتاب الله إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه مما لا يعلمه الناس .... إلى أن قال : إن للقرآن ظاهرا ، وباطنا ، ومعاينا وناسخا ، ومنسوخا ، ومحكما ، ومتشابها ، وسننا ، وأمثالا ، وفصلا ، ووصلا ، وأحرفا وتصريفا ، فمن زعم أن الكتاب مبهم فقد هلك وأهلك . (٣)

حدثنا إبراهيم بن هاشم عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن هشام بن الحكم عن سعد الإسكاف قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله انى تارك فيكم الثقلين فتمسكوا بهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض قال فقال أبو جعفر لا يزال كتاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا على الحوض (٤) . إذن فان القران لا يستغني عمن يدل عليه منهم سلام الله عليهم حتى يردا الحوض . وهذا أهـم ما ينبغي الالتفات اليه في حديث الثقلين .

تفسير القران وتأويله لا يكون الا للعترة :

مما تقدم يظهر لنا ان العترة هم تراجمة القران وهم من خوطب بالقران ولا يفسر القران غيرهم لذلك فقد ورد عنهم مراراً وتكراراً النهي عن تفسير القران بالرأي . فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من فسر القرآن برأيه ، إن أصاب لم يوجر ، وإن أخطأ خر أبعد من السماء (٥).
وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ليس شئ أبعد من عقول الرجال عن القرآن . (٦) . وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال ...... ومن فسر آية من كتاب الله فقد كفر . (٧)

---

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية) - ج ١٨ - ص ١٥٠

(٢)وسائل الشيعة (الإسلامية) - ج ١٨ - ص ١٥٠

(٣)وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٩١ ــ ١٩٢

(٤)بصائر الدرجات - ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ .

(٥) (٦) (٧)وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

ورب قائل يقول إن تفسير القران يؤخذ عنهم فيما تشابه منه أما المحكم من الايات فلا يحتاج الى تفسير لأنه واضح بين المعنى ، لانه كما وصفوه هم سلام الله عليهم : تأويله في تنزيله ، لكن ينبغي هنا الالتفات الى قضية مهمة وهي أن المحكم مفهوم المعنى لا يحتاج الى تفسير إجمالاً ، لكن تفاصيل هذا الاجمال تأتي من طريق العترة ،فالوضوء مثلاً ورد في آية محكمة لكن حدوده وسننه بتفاصيلها بينتها السنة الواردة عنهم .

ولما كان للقران ظاهر وباطن كما ورد عنهم ايضا فإنهم هم من يعرف ظاهر القران وباطنه . فعن فضيل بن يسار قال سئلت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن فقال ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن يجري كما يجري الشمس والقمر كما جاء تأويل شئ منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء قال الله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم نحن نعلمه . (١)

والقران أيضاً فيه محكم ومتشابه وهم بينوا الوظيفة في كل منهما ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول إن القرآن فيه محكم ومتشابه فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به ونعمل به وندين به وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به وهو قول الله تبارك وتعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم . (٢)

وحسب الروايات المتواترة فإنهم هم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل متشابه القران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قال : رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين قدعلّمه الله جميع ما أنزل الله إليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لميعلّمه تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله ، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه العلم فأجابهم الله يقولون آمنا به كل من عند ربنا والقرآن له خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ . (٣)

وعن الفضيل بن يسار قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية مامن آية الا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف الا وله حد يطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن قال ظهر وبطن هو تأويلها منه ما قد مضى ومنه ما لم يجئ يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء فيه تأويل شئ منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء كما قال الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ونحن نعلمه . (٤)

وعن بريد بن معاوية العجلي عن أحدهما في قول الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه فأجابهم الله يقولون امنا به كل من عند ربنا والقرآن خاص و

---

(١)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢١٦ .

(٢) (٣) (٤)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٢ - ٢٢٣

عام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ والراسخون في العلم يعلمونه (١) .

وقد روى الامام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في (تفسيره) عن آبائه ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) - في حديث - قال : أتدرون متى يتوفر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم (يقل في والقرآن برأيه) ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به ، وقال : عليكم بالقرآن فإنه الشفاء النافع ، والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ثم قال : أتدرون من المتمسك به الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، فأما من قال في القرآن برأيه فان اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . (٢)

وقد بين الامام الصادق (عليه السلام) في كلامه الذي خاطب به الشيعة محذرا من اخذ الدين بالرأي والمقاييس ومصرحا بأن للقرآن اهلاً : أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقائيس قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شئ وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلا لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقائيس أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم وهم الذين من سألهم - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان لأنهم جعلوا أهل الايمان في علم القرآن عند الله كافرين وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الامر حراما وجعلوا ما حرم الله في كثير من الامر حلالا فذلك أصل ثمرة أهوائهم وقد عهد إليهم رسول الله (صلى عليه وآله) قبل موته فقالوا : نحن بعد ما قبض الله عز وجل رسوله يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعدما قبض الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وآله) وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به مخالفا لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) فما أحد أجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه والله إن لله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد (صلى الله عليه وآله) وبعد موته هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحدا ممن أسلم مع محمد (صلى الله عليه وآله) أخذ

---

(١)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٤

(٢)وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ٣٣ .

بقوله ورأيه ومقائيسه ؟ فإن قال : نعم ، فقد كذب على الله وضل ضلالا بعيدا وإن قال : لا ، لم يكن لاحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقائيسه فقد أقر بالحجة على نفسه وهو ممن يزعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قال الله وقوله الحق : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد (صلى الله عليه وآله) وبعد قبض الله محمدا (صلى الله عليه وآله) وكما لم يكن لاحد من الناس مع محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه خلافا لأمر محمد (صلى الله عليه وآله) فكذلك لم يكن لاحد من الناس بعد محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه . (١)

تأويل القران في كل ليلة قدر :

لما كان القران هو كلام الله ، وكلامه تعالى ينبغي ان يكون مطلقا ، من حيث "ان الله تجلى لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون "(٢) وقد صرحت آيات القران بذلك ، قال تعالى : " ونزلنا عليك القران تبيانا لكل شيء " (٣) . وقال : " ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون " (٤) .وعليه فان هذا الكتاب يكون حاوياً ومبيناً لكل شيء ، وهذا الكلام صحيح ولا يحتاج الى إستدلال ومزيد بيان في زمن نزوله حيث كان رسول الله (صلى الله عليه واله) بين أظهر المسلمين ، ولكن بعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى هل توقف عمل ووظيفة القران بانقطاع الوحي وظهور مستحدثات لم تكن موجودة في زمن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله) قد يستظهر عدم ذكرها في القران ؟ واذا كان الامر كذلك فيكف يفسر التناقض هنا من جهة انه تبيان لكل شيء وانه لا يبين ما يستحدث من أمور استجدت بعد اكمال الدين وانقطاع الوحي ؟ وكيف يكون فيه ذكرنا كما جاء في بعض الايات : "لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون"(٥) ونحن لا نجد ذلك ؟

لقد دلنا القران على الوسيلة الناجحة والطريق الواضح في رفع هذا الالتباس وحسم الخلاف وذلك بالرد الى الرسول والى اؤلي الامر من بعده ، حيث قال : " ولو ردوه الى الرسول والى اؤلي الامر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم " (٦) . اخرج العياشي في تفسيره عن ابي جعفر

---

(١)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - ص ٥ – ٦

(٢)عوالي اللآلئ ج٤ ص ١١٦

(٣)النحل – ٨٩

(٤)البقرة – ٩٩

(٥)الانبياء – ١٠

(٦)النساء ٨٣

عليه السلام في قوله "ولو ردوه الى الرسول والى اؤلي الامر منهم " قال : هم الائمة (١). وعن الرضا (عليه السلام) : يعني ال محمد وهم الذين يستنبطون من القران ويعرفون الحلال والحرام وهم الحجة لله على خلقه . (٢)

وعن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال : يظن هؤلاء الذين يدعون أنهم فقهاء علماء أنهم قد أثبتوا جميع الفقه والدين مما يحتاج إليه الأمة ، وليس كل علم رسول الله صلى الله عليه وآله علموه ، ولا صار إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عرفوه ، وذلك أن الشئ من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبون فيطلب الناس العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله ، وتركوا الآثار ودانوا بالبدع ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كل بدعة ضلالة ، فلو أنهم إذا سُئلوا عن شئ من دين الله فلم يكن عندهم فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمد صلى الله عليه وآله . (٣)

وعن أبي عبد الله (ع) في رسالة " وأما ما سألت من القرآن فذلكأيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة ، لأن القرآن ليس على ما ذكرت ، وكل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه ، وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم ، ولقوم يتلونه حق تلاوته ، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه ، فأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس شئ بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن ، وفي ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا من شاء الله ، وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه وأن يعبدوه وينتهوا في قوله إلى طاعة القوام بكتابه والناطقين عن أمره وأن يستنطقوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم ثم قال : " ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا ولا يوجد ، وقد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الامر إذ لا يجدون من يأتمرون عليه ، ولا من يبلغونه أمر الله ونهيه ، فجعل الله الولاة خواص ليقتدى بهم من لم يخصصهم بذلك فافهم ذلك إن شاء الله ، وإياك وإياك وتلاوة القرآن برأيك ، فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور ، ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من حده وبابه الذي جعله الله له فافهم إن شاء الله واطلب الامر من مكانه تجده إن شاء الله .(٤)

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص ٢٨٦

(٢)وسائل الشيعة (ال البيت) ج٢٧ ص١٧١.

(٣)وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ١٨ - ص ٤٠ .

(٤) المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٦٨ .

ولما كان الائمة (عليهم السلام) موجودين في كل زمان وأنه لا بد لله من حجة على خلقه في كل زمان ، فهم يبينون حقائق القران للامة ، ولكن كيف يكون ذلك وهل له وقت محدد ؟ الجواب في قوله تعالى : " انا انزلنها في ليلة القدر ...... تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر "

إن ليلة القدر هي أكثر من مجرد ليلة نزل فيها القران في حياة رسول الله (صلى الله عليه واله) بل هي ليلة تتجدد فيها معاني القران وتتبين فيها بواطنه ، ولذلك فقد حرص الائمة على معرفة هذه الليلة وتفسيرها وجعلوها معياراً للايمان ، فقد ورد عن ابي جعفر (عليه السلام) أنه قال : فضل إيمان المؤمن بحمله " إنا أنزلناه " وبتفسيرها على من ليس مثله في الايمان بها ، كفضل الانسان على البهائم (١) .

ومن كلام اهل البيت يتبين لنا ان ليلة القدر مستمرة مادامت السموات والارض وانه لو رفعت ليلة القدر لرفع القران ، فعن داود بن فرقد قال : حدثني يعقوب قال : سمعت رجلا يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن ليلة القدر فقال : أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن (٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس : إن ليلة القدر في كل سنة ، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة ولذلك الامر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ابن عباس : من هم ؟ قال : أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون (٣). وعن أبي جعفر عليه السلام قال : يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه تفلجوا ، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنها لسيدة دينكم ، وإنها لغاية علمنا (٤) .

وروي أنرجلاً قال لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله لا تغضب علي قال : لماذا ؟ قال : لما أريد أن أسألك عنه ، قال : قل ، قال : ولا تغضب ؟ قال : ولا أغضب قال : أرأيت قولك في ليلة القدر ، وتنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء ، يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه ؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وليس من علمه شئ إلا وعلي عليه السلام له واع ، قال أبو جعفر عليه السلام : مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي ؟ قال : أدخلني عليك القضاء لطلب الدين ، قال : فافهم ما أقول لك . إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون ، وكان كثير من علمه ذلك جملا يأتي تفسيرها في ليلة القدر ، وكذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر ، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال السائل : أوما

---

(١) الكافي - ج ١ - ص ٢٥١ .

(٢) الكافي - ج ٤ - ص ١٥٨.

(٣) الكافي - ج ١ - ص ٥٣٢ – ٥٣٣

(٤) الكافي - ج ١ - ص ٢٤٩

كان في الجمل تفسير ؟ قال : بلى ولكنه إنما يأتي بالامر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء : افعل كذا وكذا ، لأمر قد كانوا علموه ، أمروا كيف يعملون فيه ؟ قلت : فسر لي هذا قال لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حافظا لجملة (العلم) وتفسيره ، قلت فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو ؟ قال : الأمر واليسر فيما كان قد علم ، قال السائل : فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا ؟ قال : هذا مما أمروا بكتمانه ، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل . قال السائل : فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء ؟ قال : لا وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه ، قال السائل : فهل يسعنا أن نقول : إن أحدا من الوصاة يعلم ما لا يعلم الآخر ؟ قال : لا لم يمت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد ، قال السائل ، و ما كانوا علموا ذلك الحكم ؟ قال : بلى قد علموه ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة ، قال السائل : يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا ؟ قال أبو جعفر عليه السلام : من أنكره فليس منا . قال السائل : يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه ؟ قال : لا يحل لك أن تسأل عن هذا ، أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه ، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبى أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم ، قال السائل : يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة ؟ قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه .(١)

وعن حمران ابن أعين أنه سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : " إنا أنزلناه في ليلة مباركة " قال : نعم ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الاواخر فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر قال الله عز وجل : " فيها يفرق كل أمر حكيم " قال : يقدر في ليلة القدر كل شئ يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو رزق فما قدر في تلك السنة وقضى فهو المحتوم ولله عز وجل فيه المشيئة ، قال : قلت : " ليلة القدر خير من ألف شهر " أي شئ عنى بذلك ؟ فقال : العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ؛ ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا و لكن الله يضاعف لهم الحسنات [بحبنا] . (٢)

إذن فالقران ينزل في كل ليلة قدر على قلب الامام المعصوم (عليه السلام) لأن القران حادث متجدد وله تأويلات ووجوه عديدة لا يعلمها الا الوصي . فقد قال ابو عبد الله (عليه السلام) عن القران : " منه ما مضى ومنه ما لم يكن ، يجري كما يجري الشمس والقمر " (٣) وفي تفسير العياشي : عن عبد الرحيم القصير قال : كنت يوما من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال : يا عبد الرحيم ، قلت : لبيك ، قال : قول الله (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) إذ

---

(١) بحار الانوار ج١٧ ص١٣٦. الكافي - ج ١ - ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢)الكافي - ج ٤ - ص ١٥٧ – ١٥٨ .

(٣)بحار الانوار ج٨٩ ص ٩٧ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا المنذر وعلي الهادي ، من الهادي اليوم ؟ قال : فسكت طويلا ثم رفعت رأسي فقلت : جعلت فداك هي فيكم توارثونها رجل فرجل حتى انتهت إليك ، فأنت - جعلت فداك - الهادي ، قال : صدقت يا عبد الرحيم ، إن القرآن حي لا يموت ، و الآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية ، لمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين . وقال عبد الرحيم : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن القرآن حي لم يمت ، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما يجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا . (١)

اذن من كل ما تقدم يتضح ان القران متجدد لا تفنى كنوزه ولا تنتهي معانيه ينزل تأويله في كل عام على قلب المعصوم الذي هو إمام الزمان ، في ليلة القدر من كل عام وهو أمر الله الذي تأتي به الملائكة الى الائمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم اولي الامر الذين يتلقون الأمر من السماء . روى إسحاق ابن عمار قال : "سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن للقرآن تأويلاً فمنه ما جاء ومنه ما لم يجيء ، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الائمة عرفه إمام ذلك الزمان " (٢) .

حديث العترة تحذو حذو القران :

لما كان حديث العترة هو صنو القران ومفسره ومبينه فلا بد أن تكون لنا فكرة وافية عنه ، ومن هذه الجهة فإن حديث أهل البيت يجري مجرى القران ، ففيه محكم ومتشابه كما أن للقران محكم ومتشابه ، روى الشيخ الصدوق عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن أبي حيون مولى الرضا عليه السلام قال : من رد متشابه القرآن إلى محكمة هدى إلى صراط مستقيم ثم قال : إن في أخبارنامتشابهاً كمتشابه القرآنومحكماً كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا (٣). إذن فينبغي لمن يتتبع حديث العترة أن يعرف محكمات حديثهم ومتشابهاتها لكي يهتدي ولا يكون ضالاً .

وكذلك فان حيث أهل البيت يشبه القران من حيث أن فيه ناسخاً ومنسوخاً فينبغي تمييز الناسخ من المنسوخ . روى الشيخ الكليني عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب ، فيجيئ منكم خلافه ؟ قال : إن الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن .(٤)

---

(١)بحار الأنوار - ج ٣٥ - ص ٤٠٣ - ٤٠٤

(٢)وسائل الشيعة ج٢٧ ص ١٩٦ .

(٣)عيون أخبار الرضا (ع) - ج ٢ - ص ٢٦١

(٤) الكافي - ج ١ - ص ٦٤ - ٦٥

روى أيضا في حديث طويل عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : قلت . لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها ، وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ، ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب . إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال : أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان ، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم " ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة . ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه ، ولم يتعمد كذبا فهو في يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه . ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شئ ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه . وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، مبغض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ وقال الله عز وجل في كتابه : " ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا " فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشئ فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا . وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نسائه . فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني ، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها ، وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب

الله ولا علما أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفا واحدا ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شئ لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل . (١)

لاحظ قوله : فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن ، فإنه واضح في أن لكلام المصطفى صلى الله عليه واله ناسخ ومنسوخ وله عام وخاص . وواضح من كلام امير المؤمنين إن الطريق الى معرفة ذلك هو كثرة السؤال عن هذه الامور فإنه سلام الله عليه قال : وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشئ فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أنهم كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا .

وهذا يفسرلنا أحد أسباب إختلاف الصحابة في آراءهم ورواياتهم عن رسول الله صلى الله عليه والهحيث يسمع الواحد منهم ما غاب عنه الاخر مما ينسخ فيه كلاماً للنبي سبق أن قاله فيعرف الغائب المنسوخ ولا يعرف الناسخ ، وهذا ما بينته هذه الرواية ، فقد روى الشيخ الكليني عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر ؟ فقال : إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان ، قال : قلت : فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد صلى الله عليه وآله أم كذبوا ؟ قال : بل صدقوا ، قال : قلت : فما بالهم اختلفوا ؟ فقال : أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب ، فنسخت الأحاديث بعضهابعضاً . (٢)

وقد علم الائمة اصحابهم انطلاقا من ذلك ان يأخذوا بالرواية الاحدث ، فعن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عثمان بن عيسى ، عن الحسين بن المختار عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أرأيتك لو حدثتك بحديث العام ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه بأيهما كنت تأخذ ؟ قال : قلت : كنت آخذ بالأخير ، فقال لي : رحمك الله .

---

(١)الكافي - ج ١ - ص ٦٢ – ٦٤ .

(٢)الكافي - ج ١- ص ٦٥ .

وعنه ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس ، عن داود بن فرقد عن المعلى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إذا جاء حديث عن أولكم وحديث عن آخركم بأيهما نأخذ ؟ فقال : خذوا به حتى يبلغكم عن الحي ، فإن بلغكم عن الحي فخذوا قوله ، قال : ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : إنا والله لا ندخلكم إلا فيما يسعكم ، وفي حديث آخر خذوا بالأحدث . (١) .

عرض الحديث على القران:

لقد جاءت جملة من الروايت بان الوظيفة في حال تعارض الروايات هي بالعرض على القران وأخذ ما وافقه وترك ما عارضه ، وهذه بعض الروايات :

عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه ، عن علي (ع) قال : إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوا به ، وما خالف كتاب الله فدعوه . (٢)

وعن عمر بن حنظلة - في مقبولته - قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ ..... الى ان قال الامام: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة ... (٣)

وعن أبان بن عثمان عن عبد الله بن أبي يعفور ، قال : وحدثني حسين بن أبي العلاء أنه حضر ابن أبي يعفور في هذا المجلس قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا تثق به ؟ قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فالذي جاء كم به أولى به .(٤)

وعن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.(٥)

وعن أيوب بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف (٦) . وعن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم وغيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال : أيها الناس ما جاء كم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاء كم يخالف كتاب الله فلم أقله (٧) .

---

(١)الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٦٦ – ٦٧ .

(٢) المحاسن للبرقي - ج ١ - ص ٢٢٦

(٣)الكافي - ج ١ - ص ٦٧ - ٦٨

(٤)(٥)(٦)(٧)الكافي - ج ١ - ص ٦٩ .

والروايات في هذا المعنى كثيرة لا يسع أحداً ردها أو التشكيك بها .

لكن يحق لنا ان نسأل هل أن العرض على كتاب الله سهل ومتيسر ؟ أعتقد ان هذه العملية صعبة ولا تتسنى الا للاوحدي كونها تتطلب المعرفة بمحكم القران ومتشابهه . ثم من هو الذي يحدد إن هذه الاية محكمة أو متشابهة ؟ هل المرء هو من يحدد ذلك أم أن ذلك موكول لعدل القران الذين خوطبوا به ؟

والحقيقة أن تحديد المحكم والمتشابه من القرآن أصعب مما يتصوره المرء ، فكم من آية ظاهرها في شيء ولا نشك في ذلك لكن باطنها في غيره ، وكم من آية لفظها واضح لكنها تحتاج الى بيان من المعصوم .

ففي تفسير القمي : " فأما المحكم من القرآن فهو ما تأويله في تنزيله مثل قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين " ومثل قوله " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم " إلى آخر الآية ومثله كثير محكم مما تأويله في تنزيله . واما المتشابه فما كان في القرآن مما لفظه واحد ومعانيه مختلفة مما ذكرنا من الكفر الذي هو على خمسة أوجه والايمان على أربعة وجوه ومثل الفتنة والضلال الذي هو على وجوه وتفسير كل آية نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى واما قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) اي شك وقوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن يزيد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله " (١)

وفي البصائر عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول إن القرآن فيه محكم ومتشابه فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به وهو قول الله تبارك وتعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم . (٢)

وفيه ايضا عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين قد علمه الله جميع ما انزل الله إليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه العلم فأجابهم الله يقولون امنا به كل من عند ربنا والقرآن له خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ (٣)

---

(١) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ١ - ص ٩٦ – ٩٧.

(٢)(٣) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٣

وقال السيد المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) ، نقلا من (تفسير) النعماني بإسناده الآتي ، عن إسماعيل بن جابر ، عن الصادق عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام - في حديث - قال : والمحكم من القرآن مما تأويله في تنزيله مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) وهذا من المحكم الذي تأويله في تنزيله لا يحتاج تأويله أكثر من التنزيل .(١)

وقال السيد المرتضى ايضا في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلا من تفسير النعماني بإسناده الآتي عن علي عليه السلام قال : وأما ما في القرآن تأويله في تنزيله فهو كل آية محكمة نزلت في تحريم شئ من الأمور المتعارفة التي كانت في أيام العرب تأويلها في تنزيلها فليس يحتاج فيها إلى تفسير أكثر من تأويلها وذلك مثل قوله تعالى في التحريم : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى آخر الآية ، وقوله : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا) الآية - و قوله : (وأحل الله البيع وحرم الربوا) وقوله تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) إلى آخر الآية ، ومثل ذلك في القرآن كثير مما حرم الله سبحانه لا يحتاج المستمع له إلى مسألة عنه . وقوله عز وجل في معنى التحليل : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) ، وقوله : (وإذا حللتم فاصطادوا) ، وقوله تعالى : (يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله) وقوله : (وطعامكم حل لهم) وقوله : (أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم) وقوله : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقوله : (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ومثله كثير .(٢)

لكن حتى هذه الامثلة التي جاءت في ما جاء عنهم سلام الله عليهم فإنها انما صارت واضحة لنا بعد أن رويناها عنهم ولولا ذلك ما كانت بينة ، وهم القائلون : ليس شيء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القران .(٣)

لذا كان من الضرورة بمكان أن يكون فهمنا للمحكم والمتشابه من القران عن طريق الائمة لأنهم الدليل عليه ، فعن هشام بن الحكم عن سعد الإسكاف قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم الثقلين فتمسكوا بهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض قال فقال أبو جعفر لا يزال كتاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا على الحوض .(٤)

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١ - ص ٣٩٩

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٥ - ص ١٠ – ١٢

(٣) محاسن البرقي ج٢ص٣٠٠

(٤) بصائر الدرجات - ص ٤٣٣ – ٤٣٤

وعن بريد بن معاوية العجلي عن أحدهما في قول الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه فأجابهم الله يقولون آمنا به كل من عند ربنا والقرآن خاص و عام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ والراسخون في العلم يعلمونه (١) .

وبلحاظ ذلك فان ثقة الاسلام الكليني رضي الله تعالى عنه قد صرح في مقدمة كتابه الشريف الكافي : فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحدا " تمييز شئ مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه ، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام : " اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه " و قوله عليه السلام : " دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم " وقوله عليه السلام " خذوا بالمجمع عليه ، فإن المجمع عليه لا ريب فيه " ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله ولا نجد شيئا " أحوط ولا أوسع من رد علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسع من الأمر فيه بقوله عليه السلام : " بأيهما أخذتم من باب التسليم وسعكم " (٢) . فهو يعترف بأن ما عنده مما يمكنه من عرض الحديث على القران هو أقل مما يمكن التعويل عليه .

وهنا أجد من المناسب وما تتم به الفائدة ان نقرأ رسالة الامام الهادي (عليه السلام) الى بعض شيعته في مسألة الجبر والتفويض التي توضح شيئاً من عملية العرض على القران لقبول ورد الروايات حيث يستخدمها الامام في هذا الموضوع ، فإنه يقول : من علي بن محمد : سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، فإنه ورد علي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ، ومقالة من يقول منكم بالجبر ، ومن يقول بالتفويض ، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم ، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله ، إعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الاخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الاسلام ممن يعقل عن الله عزوجل لا تخلو من معنيين . إما حق فيتبع ، وإما باطل فيجتنب ، وقد اجتمعت الامة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق ، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون ، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : " لا تجتمع أمتي على ضلالة " فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الامة كلها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضا ، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الامة لزمهم الاقرار به ضرورة ، حين اجتمعت في الاصل على تصديق الكتاب ، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة ، فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه ، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال : "

---

(١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٢٤ .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٨ – ٩ .

إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جل وعز : " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " وروت العامة في ذلك أخبارا لامير المؤمنين عليه السلام أنه تصدق بخاتمه وهو راكع فشكرالله ذلك له وأنزل الآية فيه ، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله : من كنت مولاه فعلى مولاه ، وبقوله : " أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ، و وجدناه يقول : " علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي ، فالخبرالاول الذي استنبط منه هذه الاخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضا موافق للكتاب ، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الاخر لزم على الامة الاقرار بها ضرورة ، إذ كانت هذه الاخبار شواهدها من القرآن ناطقة ، و وافقت القرآن والقرآن وافقها ، ثم وردت حقائق الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن الصادقين عليهم السلام نقلها قوم ثقاة معروفون فصار الاقتداء بهذه الاخبار فرضا واجبا على كل مؤمن ومؤمنة ، لا يتعداه إلا أهل العناد ، وذلك أن أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله ، وذلك مثل قوله في محكم كتابه : " إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا " ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله : " من آذى عليا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه " وكذلك قوله صلى الله عليه وآله : " من أحب عليا فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله " ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة : " لابعثن إليهم رجلا كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قم ياعلي فسر إليهم " وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر : " لابعثن إليهم غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرارا غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله عليه فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان من الغد دعا عليا عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة وسماه كرارا غير فرارفسماه الله محبا لله ولرسوله ، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه . وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلا على ما أردنا وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين ، وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا ، فإنا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهى صحة الخلقة و تخلية السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد مثل الراحلة ، والسبب المهيج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحا بحسبه ، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ، ونطق الكتاب بتصديقه ، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لان الرسول صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام لا يعدو شئ من قوله وأقاويلهم حدود القرآن فاذا وردت حقائق الاخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقا وعليها دليلا كان الاقتداء بها فرضا لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب ، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضا موافقا لهذا أن الصادق عليه السلام سئل : هل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق عليه السلام : هو أعدل من ذلك ، فقيل له : فهل فوض إليهم ؟ فقال عليه السلام : هو أعز وأقهر لهم من ذلك . وروى عنه أنه قال : الناس في القدر على ثلاثة

أوجه : رجل يزعم أن الامرمفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك ، ورجل يزعم أن الله عزوجل أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ ، فأخبر عليه السلام أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق فقد شرحت الجبر الذى من دان به يلزمه الخطاء ، وأن الذى يتقلد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما ، ثم قال : وأضرب لكل باب من هذه الابواب مثلا يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوى الالباب وبالله التوفيق والعصمة . فأما الجبر الذى يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أن الله عزوجل أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله : " ولا يظلم ربك أحدا " وقوله : " ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد " وقوله : " إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون " مع آي كثيرة في ذكر هذا ، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله ، وقد ظلمه في عقوبته ومن ظلم الله فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الامة ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبدا مملوكا لا يملك نفسه ، ولا يملك عرضا من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيبا لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة ، وإظهار الحكمة ، ونفي الجور ، وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه ، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك ، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعا يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائبا بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه ، أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضا من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته ؟ فإن عاقبه عاقبه ظالما متعديا عليه ، مبطلا لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة ، تعالى عما يقولون علوا كبيرا ، فمن دان بالجبر أو بما يدعوإلى الجبر فقد ظلم الله ، ونسبه إلى الجور والعدوان ، إذ أوجب على من أجبر العقوبة ، ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أن الله يدفع عنهم العقوبة ، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده ، حيث يقول : " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " وقوله : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا " وقوله : " إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما " مع آي كثيرة في هذا الفن فمن كذب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر وهو ممن قال الله : " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون " بل نقول : إن الله عز وجل جازى العباد على أعمالهم ، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها فأمرهم ونهاهم ، بذلك ونطق كتابه " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون " وقال جل ذكره : " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه "وقال : " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم " فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به ، ومثلها في القرآن كثير اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب ، وبالله التوفيق . فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل : إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم ، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته ، وإلى هذا ذهبت الائمة المهتدية من عترة الرسول عليهم السلام ، فإنهم قالوا لو فوض إليهم على جهة الاهمال لكان لازما له رضى ما اختاروه ، واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الاهمال واقعا وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحب ، فقد لزمه الوهن ، أو يكون جل وعز عجز عن تعبدهم بالامر والنهي على إرادته ، كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والايمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبدا ابتاعه ليخدمه ، ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم فأمر عبده ونهاه و وعده على اتباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأي أمر أمره به أو أي نهي نهاه عنه لم يأته على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه ، واتباع هواه ، ولا يطيق المولى ن يرده إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ، ففوض اختيار أمره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك ، وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه ، وقصد لارادة نفسه ، واتبع هواه ، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له : لم أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتكلت على تفويضك الامر إلي فاتبعت هواي وإرادتي لان المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض أو ليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادرا يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه ، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرفه الثواب والعقاب عليهما وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لامره ونهيه وترغيبه وترهيبه فيكون عدله وإنصافه شاملا له وحجته واضحة عليه للاعذار والانذار . فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه ، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه ؟ أو يكون عاجزا غير قادر ففوض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجز عن عقوبته ورده إلي اتباع أمره ، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله ، وإبطال الامر والنهي والثواب والعقاب ، ومخالفة الكتاب ، إذ يقول : " ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم " وقوله عزوجل : " اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " وقوله : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون " وقوله : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " وقوله : " وأطيعو الله وأطيعوا الرسول ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون " فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر ، وأبطل أمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده لعلة ما زعم أن الله فوضها إليها لان المفوض إليه يعمل بمشيته ، فإن شاء الكفر أو الايمان كان غير مردود عليه ولا محظور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه ، وهو من أهل هذه الآية " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة

يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون " تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علوا كبيرا ، لكن نقول : إن الله عز وجل ، خلق الخلق بقدرته ، وملكهم استطاعة تعبدهم بها ، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها ، ولله الخيرة في الامر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به ، وينهى عما يكره و يعاقب عليه ، بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لانه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة ، بالغ الحجة بالاعذار والانذار ، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفار قومه حسدا واستكبارا : " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى بذلك امية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول : " أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " ولذلك اختار من الامور ما أحب ، ونهى عما كره ، فمن أطاعه أثابه ، ومن عصاه عاقبه ، ولو فوض من إختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش إختيار أمية ابن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ، فلما أدب الله المؤمنين بقوله : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه ، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه ، وأنزل به عقابه ، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الاسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل ياعباية ، قال : وما أقول ؟ قال : عليه السلام : إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك قال عباية : فما أقول يا أميرالمؤمنين عليه السلام ؟ قال عليه السلام : تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك ، والقادر على ما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون : لاحول ولا قوة إلا بالله ؟ قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : عليه السلام لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله ، قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه . وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الذي خولني ، والعقل الذي دلني ، قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولا ماكنت محمودا على إحسان ، ولا مذموما على إساءة ، وكان المحسن أولى باللائمة من المسئ ، فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل ، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل . قال نجدة : أجدك أصبحت حكيما يا أميرالمؤمنين قال : أصبحت مخيرا فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها . وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال : ياأمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال : نعم ياشيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم واديا إلا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عندالله أحتسب عنائي يا أميرالمؤمنين ، فقال : مه ياشيخ فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم

منصرفون ، ولم تكونوا في شئ من اموركم مكرهين ، ولا إليه مضطرين ، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، ولسقط الوعد والوعيد ، ولما ألزمت الاشياء أهلها على الحقائق ، ذلك مقالة عبدة الاوثان وأولياء الشياطين إن الله عزوجل أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، ولم يطع مكرها ، ولم يعص مغلوبا ، ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فقام الشيخ فقبل رأس أميرالمؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الامام الذي نرجو بطاعته

يوم النجاة من الرحمن غفرانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا

جزاك ربك عنا فيه رضوانا

فليس معذرة في فعل فاحشة

عندي لراكبها ظلما وعصيانا

فقد دل قول أميرالمؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر ، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض ، لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين ، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الائمة الابرار من آل الرسول صلوات الله عليهم . ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبدا وملك مالا كثيرا أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه ، فملكه من ماله بعض ما أحب ، ووقفه على امور عرفها العبد ، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ؛ ونهاه عن أسباب لم يحبها ، وتقدم إليه أن يجتنبها ، ولا ينفق من ماله فيها ، والمال يتصرف في أي الوجهين ؛ فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه ، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه ، وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار ، وأن له دارا غيرها ، وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائمان ، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود ، وقد حد المولى في ذلك حدا معروفا وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الاولى ، فإذا بلغ الحد استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكا للمال والعبد في الاوقات كلها ، إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الاولى إلا أن يستتم سكناه فيها ، فوفى له لان من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيما دائما في دار باقية دائمة ؟ وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الاولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة التي حذره إياها غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر القاهر ؟ وأما المولى فهو الله عزوجل وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق والمال قدرة الله الواسعة ، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة ، والدار الفانية هي الدنيا ، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم ، والامور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الانبياء والاقرار بما أوردوه عن الله جل وعز ، واجتناب الاسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس ، وأما وعده

فالنعيم الدائم وهي الجنة ، و أما الدار الفانية فهي الدنيا ، وأما الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد ، وشرحها في خمسة الامثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها جمعت جوامع الفضل ، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله ، تفسير صحة الخلقة ، أما قول الصادق عليه السلام فإن معناه كمال الخلق للانسان بكمال الحواس وثبات العقل والتمييز ، وإطلاق اللسان بالنطق ، وذلك قول الله ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " فقد أخبر عزوجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق ، وذلك قوله " لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " وقوله " ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك " وفي آيات كثيرة ، فأول نعمة الله على الانسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان ، وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الارض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمرا ناهيا ، وغيره مسخر له ، كما قال الله : " كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم " وقال : " وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها " وقال : " والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس فمن أجل ذلك دعا الله الانسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة ، بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله : " فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعو " وقوله : " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " وقوله : لا يكلف الله نفسا إلا ما آتيها " وفي آيات كثيرة ، فإذا سلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله : " ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج " الآية ، فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الاعمال التي لا يقوم إلا بها ، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك ، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج ، قوله تعالى : " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " وقوله في الظهار : " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة " إلى قوله : " فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا " كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به ، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة . وأما قوله : تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلا من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا " فأخبر أن المستضعف لم يخل سربه وليس عليه من القول شئ إذا كان مطمئن القلب بالايمان . وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذى يمتع به الانسان من حد ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله : " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله " الآية ، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره ، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى : " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن " الآية فلم يجعل عليهن حرجا في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الاحكام . وأما قوله : الزاد

فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، وذلك قوله : " ما على المحسنين من سبيل " الآية ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق وألزم الحجة كل من أمكنته البلغة ، والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك ، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقا في مال الاغنياء بقوله : " للفقراء الذين احصروا سبيل الله " الآية ، فأمر بإعفائهم ، ولم يكلفهم الاعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون . وأما قوله : في السبب المهيج ، فهو النية التي هي داعية الانسان إلى جميع الافعال ، وحاستها القلب ، فمن فعل فعلا وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملا إلا بصدق النية ، كذلك أخبر عن المنافقين بقوله : " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون " ثم أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله توبيخا للمؤمنين " ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " الآية ، فإذا قال الرجل : قولا واعتقد في قوله دعته النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل ، وإذا لم يعتقد القول لم يتبين حقيقة ، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله : " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان "وقوله : " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " الآية ، فدل القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وآله أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ، ولا يبطل ما صحح القلب شئ ، فهذا شرح جميع الخمسة الامثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين ، وهما الجبر والتفويض ، فإذا اجتمع في الانسان كمال هذه الخمسة الامثال وجب عليه العمل كملا لما أمر الله عزوجل به ورسوله ، وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحا بحسب ذلك . فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة ، ومن ذلك قوله : " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم " وقال : " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " وقال : الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " وقال في الفتن التي معناها الاختبار ولقد فتنا سليمان " الآية ، وقال في قصة قوم موسى : فإنا قد فتنا قومك من بعدك و أضلهم السامري " وقول موسى : " إن هي إلا فتنتك " أى اختبارك فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض ، وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله : " ليبلوكم فيما آتاكم " وقوله : " ثم صرفكم عنهم ليبتليكم " وقوله : " أنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ، وقوله : " خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " وقوله : " وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " وقوله : " ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض " وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة ، فهي إثبات الاختبار والبلوى إن الله عزوجل لم يخلق الخلق عبثا ، ولا أهملهم سدى ، ولا أظهر حكمته لعبا ، بذلك أخبر في قوله : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا " .فإن قال قائل : فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم ؟ قلنا : بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه ، وذلك قوله : ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه " وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل ، وقد أخبر بقوله : " ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا " وقوله : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " وقوله : " رسلا مبشرين ومنذرين " فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن وجرت الاخبار عن الائمة من آل الرسول . فإن قالوا : ما الحجة في قول الله : " يهدي من يشاء ويضل من يشاء " وما أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أما أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء ، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب والمعنى الآخر أن الهداية

منه تعريفه كقوله : " وأما ثمود فهديناهم " أي عرفناهم " فاستحبوا العمى على الهدى " فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا ، وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالاخذ بها ، من ذلك قوله : " منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين قي قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " الآية ، وقال : " فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه " أي أحكمه وأشرحه " أولئك الذى هديهم الله وأولئك هم أولو الالباب " وفقنا الله وإياكم من القول والعمل لما يحب ويرضى وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله ، والحمد لله كثيرا كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، وحسبنا الله و نعم الوكيل . (١)

مسار الشيعة في حضور الأئمة :

لقد كان للائمة الدور المحوري والأساس في حياة شيعتهم كقادة وموجهين ، يرجعون اليهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور دينهم ودنياهم ، يسألونهم ويستفتونهم ويسمعون منهم كل ما يتعلق بالعقيدة والاحكام وقضايا الفرد والمجتمع ، كما إن الائمة أمروا شيعتهم أن يرجعوا اليهم في كل شيء ، حتى في الدعاء ، فقد بينوا لهم آدابه وما يقولونه لكل حاجة أو أمر يلم بهم .

بل إن الائمة نهوا شيعتهم أن يضيفوا الى الادعية التي يسمعونها عنهم شيئا وأمروهم بأن يلتزموا بما يأتيهم عنهم ، فعن العلاء بن كامل قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : واذكر ربك في نفسكتضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول عند المساء . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي وهو على كل شئ قدير قال . قلت بيده الخير ؟ قال . إن بيده الخير ولكن قل كما أقول لك عشر مرات وأعوذ بالله السميع العليم حين تطلع الشمس وحين تغرب عشر مرات (٢) .

وعن صفوان بن يحيى ، عن الكاهلي قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه ، فكتب إلي لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى ولكن قل : منتهى رضاه (٣) .

---

(١) تحف العقول – ص ٤٥٩

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٧ - ص ٢٢٧

(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠٧

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ، ولا إمام هدى ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق ، قلت : كيف دعاء الغريق ؟ قال : يقول : " يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقلت : " يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك " قال : إن الله عز وجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول لك : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك "(١) .

ولذلك فقد كان الائمة يؤكدون على شيعتهم كل التأكيد ان يلزموا طريقهم ويتبعوا قولهم ولا يقولوا برأيهم ، فعن أبي الصباح الكناني الخيبري قال قلت لأبي جعفر " ع " انا نتحدث عنك بحديث فيقول بعضنا قولنا قولهم قال فما تريد أتريد أن تكون إماماً يقتدى بك ؟ من رد القول الينا فقد سلم . وعن أبي عبد الله (ع) قال إن من قرة العين التسليم الينا وان تقولوا بكل ما اختلف عنا أو تردوه الينا ، وعن الفضيل بن يسار قال دخلت على أبي عبد الله " ع " أنا ومحمد بن مسلم فقلنا ما لنا وللناس بكم والله (فأتم) وعنكم نأخذ ولكم والله نسلم ومن وليتم والله تولينا ومن برئتم منه برئنا منه ومن كففتم عنه كففنا عنه فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده إلى السماء فقال والله هذا هو الحق المبين . (٢)

وكان الشيعة المخلصون يعرفون ذلك ويلتزمون به أشد التزام الا من شذ عن الطريق ، ومن يكون هذا حاله فان الائمة ينكرون عليه وينصحونه ، فان عاد الى الصواب والا طردوه ولعنوه وحذروا شيعتهم منه ، وهناك امثلة كثيرة على ذلك منها أبو الخطاب ابن ابي زيتب الاجدع وابن أبي العزاقرالشلمغاني وغيرهم من المنحرفين عن طريق اهل البيت عليهم السلام .

ومن أهم ما كان يميز شيعة أهل البيت عن غيرهم تقيدهم بما يأتيهم عن الائمة وتركهم للقياس والاخذ بالرأي بعد أن نهاهم الأئمة المعصومون وشددوا عليهم في ذلك ، فعن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : جعلت فداك فقهنا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة و يحضره جوابها فيمامنّ الله علينا بكم ، فربما ورد علينا الشئ لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شئ فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به ؟ فقال : هيهات هيهات ، في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم ، قال : ثم قال : لعن الله أبا حنيفة كان يقول : قال علي ، وقلت . قال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم : والله ما أردت إلا أن يرخص لي في القياس (٣) .

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٢

(٢) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ٧٦

(٣)الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٥٦

وعن يونس بن عبد الرحمن ، قال : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : بما أوحد الله ؟ فقال : يا يونس لا تكونن مبتدعا ، من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر . وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها ؟ فقال : لا ، أما إنك إن أصبت لم تؤجر ، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل (١) . وواضح إن أبا بصير لمّا سأل الامام " فننظر فيها " قصد إستعمال أدوات القياس ، لكن الامام بين له عاقبة ذلك .

بيان الائمة للقرآن :

ذكرنا فيما سبق أحاديثاً كثيرة عن أئمة الهدى ينهَون فيها عن التفسير بالرأي ويحذرون من خطورته وسوء عواقبه ، وبإزاء ذلك فقد تكفل الائمة ببيان معاني القرآن وتفسير آياته وتأويل ما تشابه منها ، وحثوا أتباعهم على الرجوع اليهم في ذلك .

عن أبي داود عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أنت تعلم الناس تأويل القرآن بمالا يعلمون فقال ما أبلغ رسالتك بعدك يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال تخبر الناس بما أشكل عليهم من تأويل القرآن (٢) .

وعن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجيء فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان . (٣)

وسأل عبيدة السلماني وعلقمة بن قيس والأسود بن يزيد النخعي - وهم نخبة التابعين - الامام أمير المؤمنين - عليه صلوات المصلين - : من ذا يسألونه عما إذا أشكل عليهم فهم معاني القرآن ؟ فأجابهم الامام : (سلوا عن ذلك آل محمد) .(٤)

وقال الإمام أبو جعفر الباقر - عليه السلام - لعمرو بن عبيد - وكان من رؤساء المعتزلة ومن العلماء الزهادومنقطعاً إلى أبواب آل البيتموالياً لهم - : (فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل ، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو !) (٥) .

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٥٦

(٢)(٣)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢١٥

(٤) تفسير أبي حمزة الثمالي - أبو حمزة الثمالي - ص ٥ – ٦

(٥) وسائل الشيعة – ال البيت – ج٢٧ ص ٢٠٢ .

وقد امتلأت كتب الاصحاب بكلمات الائمة المتضمنة لشرح آيات القرآن وبيان ظواهرها وبواطنها ، متفرقة بين طيات المجاميع الحديثية التي صنفها الاقدمون عن الأصول التي وصلتهم من أصحاب الائمة . فقد نسب الشريف المرتضى الى أمير المؤمنين كتاب " المحكم والمتشابه " ونسب اليه الاشعري القمي كتاب " ناسخ القران وناسخه " وذكر الحافظ إبن عقدة الكوفي للامام "ستين نوعاً من أنواع علوم القران " وكذلك تفسير الامام العسكري الذي أملاه على اثنين من القميين . ومن الاصحاب الذين كتبوا عن الائمة في تفسير القران ثابت ابن دينار ابو حمزة الثمالي ، الصحابي الجليل . وأيضاً تفسير القمي لأحد اصحاب الامام العسكري وهو علي ابن إبراهيم القمي .

ثم جاء من جمع هذه الروايات في كتب التفسير ، فجمع المحدث العياشي تفسيره معتمداً على روايات الائمة ، وكذلك تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني وغيرها من كتب التفسير بالرواية التي جمعت روايات أهل البيت المبينة لمعاني القران مثل تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي .

تدوين الحديث:

لقد إهتم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بتدوين تراثهم الذي ورثوه عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه واله) أيما اهتمام ، وأكدوا على شيعتهم أن يكتبوا الحديث حتى لا يضيع تراث أهل البيت . ففي تحف العقول عن رسول الله (صلى الله عليه واله) : قيدوا العلم بالكتاب (١).

في هذه الكلمة ما فيها من الحث على كتابة رواياتهم سلام الله عليهم حفاظاً عليها من الضياع والتحريف ولقطع الطريق على كل من يخطط لتخريب منابع المعرفة التي يعتمد عليها المؤمنون ، وعلى أساس ذلك فقد دأب الأئمة على مر السنين على توجيه شيعتهم بكتابة الحديث وحفظ ما يكتبون لأنهم سيحتاجونها .

فقد روي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي صلى الله عليه وآله فيسمع منه صلى الله عليه وآله الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكى ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : استعن بيمينك . وأومأ بيده ، أي خط (٢).

وعن الحسن بن علي عليهما السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال : إنكم صغار قوم ٍ ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته (٣) .

---

(١) تحف العقول ص ٣٦ .

(٢)(٣) بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٥٢.

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا . وعنه عليه السلام قال : القلب يتكل على الكتابة (١) .

وعن عبيد بن زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها (٢) .

وعن أبي بصير قال أبو عبد الله عليه السلام : اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتاب . وعن أبي بصير يأضاً قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال : دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث وكتبوها فما يمنعكم من الكتاب ؟ أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا (٣).

وفي منية المريد : روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : قيدوا العلم . قيل : وما تقييده ؟ قال : كتابته (٤) .

وفي الكافي عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، عن بعض أصحابه ، عن أبي سعيد الخيبري ، عن المفضل بن عمر ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : اكتب وبث علمك في إخوانك ، فإن مت فأورث كتبك بنيك ، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم . (٥)

وقال أحد الاصحاب : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال : حدثوا بها فإنها حق . (٦)

وعن أحمد بن عمر الحلال قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول : اروه عني يجوز لي أن أرويه عنه ؟ قال : فقال : إذا علمت أن الكتاب له فاروه عنه (٧) .

وكثمرة لهذا التأكيد منهم سلام الله عليهم فقد سطر الاصحاب حديث الائمة في أصول إعتمدها من جاء بعدهم وتناولوها ورووا ما فيها من أهمها الاصول الاربعمائة . إن الائمة لم يكتفوا بتوجيه أصحابهم على الكتابة بل هم أيضا كانوا يكتبون علومهم ويدونونها ، والاخبار في ذلك كثيرة منها :عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه علي بن النعمان عن بكر بن كرب قال كنا

---

(١) بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٥٢.

(٢)بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٥٢. الكافي - ج ١ – ص٥٢

(٣)(٤) بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٥)(٦)(٧) الكافي - ج ١ – ص٥٢- ٥٣

عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعناه يقول : أما والله عندنا مالا نحتاج إلى الناس وإن الناس ليحتاجون إلينا ، إن عندنا الصحيفة سبعونذراعاً بخط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أولادهما فيها من كل حلال وحرام إنكم لتأتوننا فتدخلون علينا فنعرف خياركم من شراركم . (١)

وعن يعقوب عن محمد بن أبي عمير عن محمد بن حمران عن سليمان بن خالد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال ولاحرام الا وهو فيها حتى أرش الخدش . (٢)

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال اخرج إلى أبو جعفر عليه السلام صحيفة فيها الحلال والحرام و الفرايض قلت ؟ ؟ ما هذه قال هذه املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي بيده قال فقلت فما تبلى؟ قال فما يبليها قلت ، وما تدرس؟ قال وما يدرسها قال هي الجامعة أو من الجامعة .

وعن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل بن جميل بياع الجواري عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أبو جعفر (عليه السلام) : إن عندي لصحيفة فيها تسعة عشرة صحيفة قد حباها رسول الله صلى الله عليه وآله .(٤)

وعن يونس بن يعقوب عن معتب قال قال اخرج إلينا أبو عبد الله عليه السلام صحيفة عتيقة من صحف علي عليه السلام فإذا فيها ما تقول إذا جلسنا لنتشهد . وعن حماد بن عثمان عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول وذكر ابن شبرمة فقال أبو عبد الله عليه السلام أين هو من الجامعة املاء رسول الله وخطه علي بيده فيها الحلال والحرام حتى أرش الخدش . (٥)

بل ان الاصحاب كانوا يعرضون كتبهم على الائمة ليصححوها ويبينوا ما فيها من خلل أو غلط أو تصحيف ، وهذا ما كان يؤكد عليه الائمة (عليهم السلام) ، فعن محمد بن عيسى قال أقرأني داود بن فرقد الفارسي كتابه إلى أبى الحسن الثالث عليه السلام وجوابه بخطه فقال نسألك عن العلم المنقول إلينا عن ابائك وأجدادك قد اختلفوا علينا فيه كيف العمل على اختلافه إذا نرد إليك فقد اختلف فيه فكتب وقرأته ما علمتم انه قولنا فالزموه وما لم تعلموا فردوه إلينا .(٦)

---

(١)بصائر الدرجات - ص ١٦٢

(٢)بصائر الدرجات - ص ١٦٣ - ١٦٤

(٣) (٤) بصائر الدرجات - ص ١٦٤

(٥)بصائر الدرجات - ص ١٦٥ .

(٦) بصائر الدرجات - ص ٥٤٤ - ٥٤٥

وعن سعد بن عبد الله بن أبي خلف قال : قال لي أحمد بن خانبه : أنه عرض كتابه على أبي الحسن علي بن محمد صاحب العسكر الأخير عليه السلام ، فوقف عليه وقال : صحيح فاعملوا به ، (١) .

النهي عن الأخذ من المخالفين:

لقد كان أئمة أهل البيت حريصين على أن يكون شيعتهم بعديدين عن مسالك فقهاء السوء ووعاظ السلاطين الذين انحرفوا عن طريقة أهل البيت عليهم السلام . ولذلك كانوا يستثمرون كل فرصة ليؤكدوا على شيعتهم ضرورة أن يتمسكوا بعروة أهل البيت ويلزموا طريقتهم لأن فيها النجاة وفي تركها الضلال والهلاك .

فعن امير المؤمنين (عليه السلام) مخاطبا كميل ابن زياد النخعي : يا كميل ما من علم إلا وأنا أفتحه وما من سر إلا والقائم عليه السلام يختمه . يا كميل ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا . (٢)

وعن علي بن سويد السايي قال : كتب إلي أبو الحسن (عليه السلام) وهو في السجن : وأما ما ذكرت يا علي ممن تأخذ معالم دينك ، لاتأخذنّ معالم دينك عن غير شيعتنا ، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين ، الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم ، إنهمائتُمِنوا على كتاب الله ، فحرفوه وبدلوه فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكة ، ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة - في كتاب طويل - . (٣)

وعن جبرئيل بن أحمد ، عن موسى بن جعفر بن وهب ، عن أحمد بن حاتم بن ماهويه قال : كتبت إليه - يعني أبا الحسن الثالث (عليه السلام) - أسأله عمن آخذ معالم ديني ؟ وكتب أخوه أيضا بذلك ، فكتب إليهما ، فهمت ما ذكرتما ، فاصمدا في دينكما على كل مسن في حبنا ، وكل كثير القدم في أمرنا ، فإنهما كافوكما إن شاء الله تعالى . (٤)

فعلى أساس كلامهم الذي نحن مأمورون بإتباعه ، لا يكون المرء منهم حتى يأخذ عنهم . ومن أخذ عن غيرهم وغير شيعتهم فقد أخذ عن الخائنين . من الواضح أن هذه القضية كانت من

---

(١) بحار الأنوار - ج ٧٣ - ص ٢١٧ .

(٢) تحف العقول - ص ١٧١ .

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٥٠ .

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٥١ .

أولويات الأئمة ، لذلك فهم يشددون على شيعتهم الالتفات اليها وعدم اهمالها ويذكرونهم بها كلما وجدوا تهاوناً فيها .

وورد عنهم أيضاً : إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر الذي يقصر بحقنا . من تمسك بنا لحق ، ومن سلك غير طريقتنا غرق . لمحبينا أفواج من رحمة الله ، ولمبغضينا أفواج من غضب الله ، وطريقنا القصد وفي أمرنا الرشد .(١)

وعن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) في الزيارة الجامعة : فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه (٢) .

ينبغي هنا الألتفات الى أن الائمة يستخدمون أشد العبارات لبيان خطر هذا الامر وأهميته ، فالغرق والمروق عن الدين وزهوق النفس أشياء مرعبة لمن تأمل كلماتهم .

وعن الامام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في (تفسيره) عن آبائه ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) - في حديث - قال : أتدرون متى يتوفر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم (يقل في القرآن برأيه)(٣) ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به ... الى أن يقول : أتدرون من المتمسك به الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين . (٤)

ولطالما ذكّروا شيعتهم بقول جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . (٥)

قال الامام الرضا (عليه السلام) : يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه . (٦)

وعن الامام الرضا ، عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من دان بغير سماع ألزمه الله البتة إلى الفناء ، ومن دان بسماع من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك ، والباب المأمون على وحي الله محمد (صلى الله عليه وآله) (٧).

---

(١)الخصال - ص ٦٢٧

(٢)عيون أخبار الرضا (ع) - ج ١ - ص ٣٠٦

(٣) في تفسير الامام العسكري : إذا لم يغل في القران (إنه كلام مجيد) .

(٤)وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ٣٣

(٥)وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ٣٤

(٦)عيون أخبار الرضا (ع) - ج ٢ - ص ٢٧٢

(٧) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٢٩

وعن إبراهيم بن زياد قال : قال الصادق (عليه السلام) : كذب من زعم أنه يعرفنا وهو مستمسك بعروة غيرنا . (١)

وعن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل . (٢)

وعن الحجاج بن الصباح قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنا نحدث عنك بالحديث فيقول بعضنا قولنا قولهم قال : فما تريد ؟ أتريد أن تكون إماما يقتدى بك ؟ ! من رد القول إلينا فقد سلم . (٣) .

وهكذا فقد تمسك الشيعة بطريق الائمة وتركوا الطرق الاخرى لأنها لا توصل الى الحق . كيف لا يفعلون ذلك وقد كانت هذه وصية رسول الله (صلى الله عليه واله) في حديث الثقلين التي هي أعظم وصاياه للمسلمين على مر العصور ؟؟!

لقد إمتاز الشيعة عن غيرهم من المسلمين بأنهم إنقطعوا الى أهل البيت وأعرضوا عمن سواهم ، وبسبب هذا الانقطاع فقد أنزل عليهم الحكام والجبارين صنوف الغضب والتعسف والويلات . كما إن أتباع فرق المسلمين الاخرى وتبعاً لفقهائهم فقد نعتوا الشيعة بأبشع النعوت من الضلال والكفر والارتداد ، فأهدروا دمائهم واستحلوا أموالهم وشردوهم من ديارهم وقتلوهم تحت كل حجر ومدر .

هل العترة تخالف القران ؟

بعد أن تبين لنا بوضوح كيف أكد رسول الله " صلى الله عليه واله " على التمسك بكتاب الله والعترة الطاهرة المطهرة يطرح هنا سؤال مفاده : هل يمكن ان تخاف العترة كتاب الله ؟؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول بداية وقبل أن نبحث في روايات أهل البيت المتعلقة بهذا الجانب ،واستناداً الى حديث الثقلين نفسه الذي يصرح بأنهما – أي الكتاب والعترة – لن يفترقا ، بأن العترة لا يمكن أن يخالفوا القران بحال من الاحوال والا لكان من الممكن أن يفارقوا كتاب الله وعندها سوف لا يكون معنى لاستخدام " لن " لنفي الافتراق بينهما والتي تفيد التأبيد في ذلك كما هو معلوم لدى كل من يعرف نزراً يسيراً من لغة العرب .

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٢٩

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٣٠

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٣٠

ثم إننا نجد من خلال التمعن في كلامهم ورواياتهم ما يؤيد ذلك بشكل جلي ، فهم يحثون شيعتهم باستمرار على عرض حديثهم على كتاب الله فإن وافقه أخذوا به وإن خالفه ردوه ، فعن السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه ، عن علي (ع) قال : إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوا به ، وما خالف كتاب الله فدعوه . (١)

وفي روايات أخرى يصف الامام الصادق سلام الله عليه ما خالف القران من الروايات بأنها زخرف ، فعن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كل شئ مردود إلى كتاب الله والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف . (٢)

وعن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أيوب بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف .(٣)

بل إنه في بعض الروايات يرمي ما يخالف كتاب الله بالكفر والباطل فعن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله فقد كفر (٤) .

وعن ابن أبي عمير يأضاً ، عن كليب بن معاوية الأسدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أتاكم عنا من حديث لا يصدقه كتاب الله فهو باطل .(٥)

وفي جملة من الروايات يصرح الائمة بأن ما يخالف القران لم يقولوه ، فعن ابن أبي عمير ، عن الهشامينجميعاً وغيرهما قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله فقال : أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف القرآن فلم أقله (٦). وعن الحسن بن علي بن فضال ، عن علي ، عن أيوب ، عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا حدثتم عني بالحديث فأنحلوني أهنأه وأسهله وأرشده فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن لم يوافق كتاب الله فلم أقله (٧) . وعن علي بن حكم ، عن أبان بن عثمان ، عن عبد الله بن أبي يعفور قال علي : وحدثني الحسين بن أبي العلاء أنه حضر ابن أبي يعفور في هذا المجلس قال : سألت أبا - عبد الله (ع) عن اختلاف الحديث يرويه من يثق به وفيهم من لا يثق به ؟ - فقال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتموه له شاهد من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فالذي جاءكم به أولى به .(٨)

---

(١)المحاسن - ج ١ - ص ٢٢٦و الكافي - ج ١ - ص ٦٩

(٢) المحاسن - ج ١ - ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، الكافي - ج ١ - ص ٦٩

(٣) (٤) الكافي - ج ١ - ص ٦٩ – ٧٠ .

(٥) (٦) (٧)المحاسن - ج ١ - ص ٢٢١

(٨)المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٢٥

بل ان الامام يحثُّ أصحابه على سؤاله عما يحدِّثهم به من كتاب الله ، فعن يونس بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي الجارود ، قال : قال أبو جعفر (ع) : إذا حدثتكم بشئ فاسئلوني عنه من كتاب الله (١) .

وبعد كل هذه النصوص لا يبقى شك في أن العترة لا تخالف القران قيد شعرة ، كيف وهم ثقل القران وترجمانه .

وهنا أجد أنه من المناسب أن أورد حديثاً جاء في كتاب عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق يبين فيه كيفية التعامل مع الخبرين المختلفين عن رسول الله " صلى الله عليه واله " وكذلك في الخبرين المختلفين عن الائمة " عليهم السلام " ، قال الصدوق : حدثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قالا حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثني محمد بن عبد الله المسمعي قال حدثني أحمد بن الحسن الميثمي إنه سأل الرضا (عليه السلام)يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله (ص) في الشئ الواحد فقال عليه السلام : إن الله عز وجل حرمحراماً وأحلحلالاً وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك مما لا يسع الاخذ به لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل حرم الله ولا ليغير فرايض الله وأحكامه في ذلك كله متبعا مسلما مؤديا عن الله ، وقول الله عز وجل ان اتبع إلا ما يوحى إلي ، فكان متبعا لله مؤديا عن الله ما امره به من تبليغ الرسالة . قلت فإنه يرد عنكم الحديث في الشئ عن رسول (ص) مما ليس في الكتاب وهو في السنة ثم يرد خلافه فقال وكذلك قد نهى رسول الله (ص) أشياء نهى حرام فوافق فذلك نهيه نهى الله وأمر بأشياء فصار ذلك الامر واجبا لازما كعدل فرايض الله تعالى ووافق في ذلك امره أمر الله تعالى فما جاء في النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك وكذلك فيما أمر به لأنا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلا لعلة خوف ضرورة فاما ان نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك ابدا لأنا تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعا لأمر ربه عز وجل مسلما وقال عز وجل : " ما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا " وان رسول الله (ص) نهى عن أشياء ليس نهي حرام بل إعافه وكراهة وأمر بأشياء ليس فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين ، ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافه أو أمر فضل فذلك يسع استعمال الرخص فيه إذا ورد عليكم عنا فيه الخبران باتفاق يرويه من يرويه في النهى ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الاخذ بأحدهما أو بهما جميعا أو بأيهما شئت وأحببت موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول (ص) والرد إليه والينا وكان تارك ذلك من باب العناد والانكار وترك التسليم لرسول (ص) مشركا بالله العظيم ، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله فما كان في كتابموجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن النبي فما كان في

---

(١) المحاسن - ج ١ - ص ٢٦٩

السنةموجوداً منهياً عنه نهى حرامم أموراً به عن رسول الله (ص) أمر الزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره وما كان في السنة نهي إعافه أو كراهة ثم كان الخبر الآخر خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله (ص) وكرهه ولم يحرمه فذلك الذي يسع الاخذ بهما جميعا أو بأيهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والاتباع والرد الى رسول الله (ص) وما لم تجدوه في شئ من الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك ولا تقولوا بآرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا .(١)

وحقيقة فإن هذه الروايةمهمة جداً لأنها تشتمل على الكثير من قواعد دراية الحديث وطرق الترجيح بين الاحاديث المتعارضة .كما إنها تبين مكانة الكتاب وسنة النبي الاكرم عند الائمة وتبين إنهم لا يختلفون في أقوالهم ، الا في حدود الندب والكراهة . وحري بكل من له بحديث أهل البيت وجه صلة أن يتقن هذه القواعد ويحفظها لكي تكون دليله في فهم حديثهم على الوجه الصحيح .

كما أن هذه الرواية تحكي لنا الطريقة التي كان الأصحاب يتبعونها في التعامل مع الأخبار المتعارضة التي ترد عن أهل بيت الوحي . كونها الطريقة التي ورد الأمر بإتباعها من قبل المعصوم . فالمتوقع من أتباع الأئمة هو التقيد بأوامر المعصوم . ولا يحتمل بل لا يتصور أن يتركها الأصحاب ويذهبون الى طرق الاخرين ،خصوصاً من عُرِفَ بمخالفة أهل البيت من أمثال أبي حنيفة ومالك وغيرهم من فقهاء العامة .

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع) - ج ١ - ص ٢٢ – ٢٤

الفصل الثاني

الوصية الثانية : وصية الامام الثاني عشر "عليه السلام "

بيننا في الفصل الاول من هذا الكتاب مسيرة الشيعة بعد رسول الله " صلى الله عليه واله " وطريقتهم التي أخذوها من وصيته في حديث الثقلين . واستمر الامر هكذا حتى إمامة الامام الثاني عشر التي بدأت بعد وفاة الامام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ للهجرة . ولما كانت إمامته سلام الله عليه قد بدأت معها الغيبة الصغرى فإن لسلوباً جديداً قد بدأ معها وهو أسلوب السفارة. وحُصِر أتصال الشيعة بإمامهم عن طريق السفير الذي يعينه الامام ، ولكي لا يكون هذا التغيير مستغرباً لدى الشيعة لو ظهر بشكل مفاجيء ، فقد بدأه الامامان الهادي والعسكري " عليهما السلام " تدريجياً لكي يعتاد الشيعة على هذا الاسلوب فكانوا يتصلون بشيعتهم عن طريق الوكلاء . وهكذا سار الامر زمن الغيبة الصغرى على هذا المنوال بدون تغيير ، غاية الامر أن الشيعة لا يسعهم لقاء الامام بشخصه ليسألوه ، لذا كانوا يرسلون له أسئلتهم وقضاياهم بيد السفير فيتيهم الجواب موقعاً من قبل الامام بيد السفير يلضاً .

وحيث ان الامام " عليه السلام " يعلم أن هذه الغيبة -الصغرى- لها نهاية تبدأ بعدها غيبة أطول منها ، يكون الناس فيها حيارى لا يجدون من يهديهم سواء السبيل ، لذا فان الامام أبلغ شيعته وصيته التي تضمن لهم عدم الضلال ولو بالقدر المتيسر ، لأن غيبة الامام مؤثرة في الشيعة لا محالة ، ومثل الشيعة فيها كمثل بني اسرائيل في التيه ، ورد في الكافي الشريف عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم بن معاوية البجلي عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : " قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين " قال : إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بامام جديد "(١)

وصية الامام كانت مضمنة في التوقيع الذي أخرجه الشيخ الصدوق في كتابه إكمال الدين بسنده قال : حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكليني رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يعقوب الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد [ت في] التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام : (٢) ، وقد تضمن التوقيع - وهو طويل الذيل - جواب الناحية المقدسة عن

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢)كمال الدين وتمام النعمة - ص ٤٨٣

أمور سأل عنها إسحاق إبن يعقوب ، ومحل الشاهد منها هو قوله : ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)) . (١)

مع الوصية :

إن هذا التوقيع يعدُّ من التوقيعات المهمة في مقام الأخذ عن المعصوم " سلام الله عليه " لأنه يتضمن قضايا مهمة ، لكن الاهم فيه هو ما ورد فيه من قول الامام الحجة : وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم . وتأتي أهمية هذه العبارة كونها تتعدى حدود السائل وتمتد على مدى فترة الغيبة الصغرى وتستمر الى الغيبة الكبرى ، وفيها بيان لوظيفة المكلف التي ينبغي عليه إتباعها اذا أراد أن يعرف الحكم الشرعي لما يصادفه من وقائع وأحداث .

الامام في هذا التوقيع يأمر الشيعة في زمن الغيبة أن يرجعوا في شؤون دينهم الى رواة حديثهم ويصفهم بأنهم حجة الامام على الشيعة ، خصوصاً إذا أخذنا بعين الأعتبار إستخدام الامام لضمير الجمع في مخاطبته وليس المفرد مع أن السائل واحد وهو إسحاق إبن يعقوب .

وهذه هي الوصية الثانية بعد وصية رسول الله باتباع الكتاب والعترة في حديث الثقلين المعروف . طبعا التوقيع مشهور ومعروف لدى فقهاء الشيعة ، لكن الاصوليين منهم تعاملوا معه بازدواجية ، فهم من جهة يستدلون به على مشروعية الرجوع اليهم وتقليدهم باعتبارهم المقصودين برواة الحديث ، لذلك تجدهم يهرعون في الاستدلال به في مصنفاتهم على وجوب رجوع المكلف اليهم ، فالسيد الخميني يعتبر التوقيع من الادلة على وجوب الرجوع الى المجتهد ، قال وهو يعدد الأدلة على ذلك : ومنها : قوله في التوقيع : (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا) (٢) .

وكذلك فعل السيد الخوئي حيث قال : وأظهر منها قوله - ع - في رواية إسحاق بن يعقوب : وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا وذلك لأن الحوادث الواقعة قد لا تكون منصوصة فلا يمكن أن يجاب فيها إلا بالاجتهاد وإعمال النظر .(٣)

---

(١)كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤٨٤ .

(٢) الاجتهاد والتقليد - السيد الخميني - ص ٧٨ – ٧٩ .

(٣) كتاب الاجتهاد والتقليد - السيد الخوئي - شرح ص ٩٣.

لكنهم من جهة أخرى يضعفون الحديث ويسقطونه عن الاعتباربمناقشته سنداً ومتناً ، فالسيد الخميني يقول : وفيه : - بعد ضعف التوقيعسنداً - أن صدره غير منقول إلينا ، ولعله كان مكتنفاً بقرائن لا يفهم منه إلا حجية حكمهم في الشبهات الموضوعية ، أو الأعم ، وكان الارجاع في القضاء ، لا في الفتوى .(١)

ومثله فعل السيد الخوئي يأضاً فضعف الحديث قائلا : ويرد عليه : أن رواية عمر بن حنظلة ضعيفة السند كما مر غير مرة وإن كانت الرواية متلقاة عند الأصحاب بالقبول ، ومن ثمة سميت بالمقبولة ، وكذلك الحال في التوقيع الشريف فإن في سنده إسحاق بن يعقوب ومحمد بن محمد بن عصام ولم تثبت وثاقتهما . نعم محمد بن محمد شيخ الصدوق (قده) إلا أن مجرد الشيخوخة لمثله لا يقتضي التوثيقأبداً . (٢)

لكن التناقض الأغرب هو ما تجده عند السيد الخوئي في مناقشة دلالة الرواية بعد حكمه بضعف سندها ، فهو من جهة يعتبر أن المقصود من رواةالحديث هم علماء الشيعة عموماً لانهم لا يفتون برأيهم بل بروايات الائمة المأثورة عنهم ، يقول : وأما التعبير فيها برواة الحديث دون العلماء أو الفقهاء فلعل السر فيه أن علماء الشيعة ليس لهم رأي من عند أنفسهم في قبال الأئمة عليهم السلام ، فإنهم لا يستندون إلى القياس والاستحسان والاستقراء الناقص وغير ذلك مما يعتمد عليه المخالفون ، وإنما يفتون بالروايات المأثورة عنهم عليهم السلام فهم - في الحقيقة - ليسوا إلا رواة حديثهم . (٣)

ثم نجده بعد ذلك وفي نفس الكتاب يفرق بين رواة الحديث وبين المجتهدين لأن النسبة بينهما عموم من وجه – أي بمعنى أن كل مجتهد راوي وليس كل راوي مجتهد فيكون الرواي أعم من المجتهد – ويعترف بعدها بأن إطلاق الراوي على المجتهد هو تسامح ، حيث يقول : هذا مضافاً إلى إمكان المناقشة في دلالته ، فإن الارجاع إلى رواة الحديث ظاهره الارجاع إليهم بما هم رواة لا بما أنهم مجتهدون ، والنسبة بين الراوي والمجتهد عموم من وجه ، وإن كان يمكن اطلاق الرواة على المجتهدين بعناية أنهم في الحقيقة رواة الأئمة عليهم السلام ومستفيدين من آثارهم وعلومهم وليسوا في عرضهم بوجه إلا أنه اطلاق مسامحي ، ولا يقاس هذا بالارجاع إلى آحاد الرواة كالارجاع إلى محمد بن مسلم أو يونس بن عبد الرحمان أو زكريا بن آدم وغيرهم ممن ارجعوا إليهم بأشخاصهم على ما بيناه في أوائل الكتاب ، والفرق واضح لا يخفى على الفطن فهذا الجواب مما لا يمكن المساعدة عليه .(٤)

---

(١)الاجتهاد والتقليد - السيد الخميني - ص ١٠٠ .

(٢)كتاب الاجتهاد والتقليد - السيد الخوئي - شرح ص ٣٥٨

(٣)كتاب الاجتهاد والتقليد - السيد الخوئي - شرح ص ٩٣ .

(٤) كتاب الاجتهاد والتقليد - السيد الخوئي - شرح ص ٣٥٨ .

وهذا التفريق من السيد الخوئي بين الراوي والمجتهد مهم جداً في فهم معنى رواة الحديث الذين قصدهم الامام " عليه السلام " . فالامام لا يطلق الكلام جزافاً ، وهو قاصد لمعنى الرواة ولو أراد غيره من المعاني لاختار لفظاً غيره .

معنى رواة الحديث :

إن مراد الامام من رواة الحديث الذين ينبغي الرجوع اليهم هم المحدثون من حملة روايات أهل البيت (عليهم السلام) بدراية وفهم ، وهذا القيد يفهم من جملة روايات تتضمن هذا المعنى وتؤيد ما نقول ، ففي البصائر عن سعدان بن مسلم بن معاوية ابن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل راوية لحديثكم يبث ذلك إلى الناس ويسدده في قلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل قال الراوية لحديثنا يبث في الناس ويسدده في قلوب شيعتنا أفضل من الف عابد .(١)

وعن معاوية بن وهب قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين أحدهما فقيه راوية للحديث والاخر عابد ليس له مثل روايته فقال الراوية للحديث المتفقه في الدين أفضل من الف عابد لا فقه له ولا رواية .(٢)

وعن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا ؟ فقيل : علامة فقال : وما العلامة ؟ فقالوا له : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها ، وأيام الجاهلية ، والأشعار العربية ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله : ذاك علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله : إنما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل .(٣)

وعن أبي البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوادرهماً ولاديناراً ، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشئ منها فقد أخذحظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ؟ فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .(٤)

---

(١) (٢) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٧- ٢٨

(٣) (٤) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٢ .

وعن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا ، وإن كان حقا ثابتا له ، لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى : " يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ". قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله . (١)

فلا يكفي لَ يكون راوياً لحديثهم فحسب ، بل ينبغي أن يكون ممن نظر في حلالهم وحرامهم حتى يكون مؤهلا للحكومة أو الفتوى ، وهو ما يسمى بدراية الحديث التي حث عليها الائمة في جملة من كلامهم ، فعن إبراهيم الكرخي ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعينوجهاً لنا من جميعها المخرج .(٢)

وعن ابن أبي عمير ، عن زيد الزراد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإن المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ، إني نظرت في كتاب لعلي عليه السلام فوجدت في الكتاب : أن قيمة كل امرئ وقدره معرفته ، إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا . (٣)

وعن البرقي ، عن علي بن حسان الواسطي ، عمن ذكره ، عن داود بن فرقد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إن الكلمة لتنصرف على وجوهٍ فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب . (٤)

بعد هذه الروايات يتبين لنا معنى رواة الحديث المقصودين في كلام الامام ، فهم من يروي حديث اهل البيت بفهم ودراية ملتفتا الى المحكم منه والمتشابه والمطلق والمقيد والعام منه والخاص والناسخ والمنسوخ ، بعد عرضه على كتاب الله ومعرفة الموافق منه والمخالف . لذلك فأنالمعصوم دائماً يؤكد على أن يكون الراوي عارفاً ذا نظر ودراية .

---

(١)الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٦٧ .

(٢) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ٢ .

(٣) (٤)بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٨٣ – ١٨٤ .

ولقد كان الائمة مهتمين بان يكون مصدر تفقه شيعتهم منحصراً بطريق أهل البيت لأنهم إذا لم يستغنوا بفقههم إحتاجوا الى غيرهم من المخالفين ، فاذا حصل ذلك أدخلوهم في ضلالتهم ، وأوضح صور هذا الانجرار هو ما نراه في مدرسة الاجتهاد والاصول التي أخذت أغلب ما عندها من المخالفين ، عن أبي إسحاق الكندي ، عن بشير الدهان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا يا بشير ! إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه إحتاج إليهم فإذا إحتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم (١) . ولذلك شدد المعصومون عليهم السلام على معرفة مصدر العلم الذي نأخذه .

فعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى : * (فلينظر الانسان إلى طعامه) * قال : إلى العلم الذي يأخذه عمن يأخذه . (٢)

وعن أحمد بن حاتم بن ماهويه قال : كتبت إليه - يعني أبا الحسن الثالث (عليه السلام) - أسأله عمن آخذ معالم ديني ؟ وكتب أخوه أيضا بذلك ، فكتب إليهما ، فهمت ما ذكرتما ، فاصمدا في دينكما على كل مسن في حبنا ، وكل كثير القدم في أمرنا ، فإنهما كافوكما إن شاء الله تعالى . (٣)

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لكميل بن زياد في وصيته له : يا كميل ! لا تأخذ إلا عنا ، تكن منا .(٤)

وهذا لعمري ناقوس خطر قرعه الامام لشيعته قبل أن يقعوا في فخ الزخارف التي وجدوها في كتب المخالفين . فعن علي بن سويد السايي قال : كتب إلي أبو الحسن (عليه السلام) وهو في السجن : وأما ما ذكرت يا علي ممن تأخذ معالم دينك ، لا تأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين ، الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم ، إنهم ائتمنوا على كتاب الله ، فحرفوه وبدلوه فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكة ، ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة .(٥)

ومع كل هذه التحذيرات فقد وقع القوم في المصيدة ولا زالوا يكرعون الكأس سكارى بأقاويل المخالفين يترنمون بها ولا يشعرون بفداحة ما يفعلون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٥١

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٥١

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٠٣

(٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٥٠ .

وكما عرفنا فإن الاصوليين من فقهاء الشيعة حاولوا إثبات أن رواة الحديث المقصودين في الحديث هم المجتهدون .

ولمن عرف معنى المجتهد اصطلاحاً نقول : إن الاجتهاد يعتمد إضافة الى الكتاب والسنة ، على الاجماع والعقل والاصول العملية من الأقيسة وغيرها ، ولا يمكن والحال هذه أن يكون هذا هو مقصود الامام ، لما ثبت في كثير من الروايات من النهي المطلق عن الاخذ بالرأي والظنون . والمجتهد كما هو معلوم يأخذ بالظنون ويحتج بها ، ففي (بصائر الدرجات) عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد ، والعباس بن معروف ، عن حماد ابن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل (١).

وعن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن أبي بكر الحضرمي عن الحجاج بن الصباح قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنا نحدث عنك بالحديث فيقول بعضنا قولنا قولهم قال : فما تريد ؟ أتريد أن تكون إماما يقتدى بك ؟ ! من رد القول إلينا فقد سلم .(٢)

والروايتان واضحتان في أن ما لم يخرج من أهل البيت فهو باطل سواء كان مزوقاً بالعقليات الخداعةأو منقولاً من غير أهل بيت العصمة .

وعن معلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله (ع) : ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال .(٣)

اذن لا يمكن الاستقلال عن أهل بيت العصمة في إخراجالحكم الشرعي من كتاب الله مطلقاً لأنهم هم من خوطب به . بل حتى من يصيب الحق تفاقاً برأيه فإنه جانب الصواب ، فعن عبد الله بن بكير ، عن عبيد بن زرارة ، عن رجل لم يسمه أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام رجلان تدارئا في شئ فقال : أحدهما أشهد أن هذا كذا وكذا برأيه فوافق الحق ، وكف الاخر فقال : القول قول العلماء ؟ - فقال : هذا أفضل الرجلين أو قال : أورعهما . (٤)

وعن حريز ، عن محمد بن حكيم ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنقوماً من أصحابنا قد تفقهوا وأصابوا علماً ورووا أحاديث فيرد عليهم الشئ فيقولون فيه برأيهم ؟ - فقال : لا ، وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه ؟ ! (٥).

---

(١)(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٣٠ .

(٣) المحاسن - ج ١ - ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(٤) المحاسن - ج ١ - ص ٢١١ – ٢١٢ .

(٥) المحاسن - ج ١ - ص ٢١٢ .

وعنهم (عليهم السلام) : فوالله لنحبكم (لنحسبكم خ د) أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله والله ما جعل الله لاحد من خير في خلاف امره .(١)

وعن حسان أبي علي عن أبي عبد الله (عليه السلام) - في حديث - قال : حسبكم أن تقولوا ما نقول ، وتصمتوا عما نصمت ، إنكم قد رأيتم أن الله عز وجل لم يجعل لأحد في خلافنا خيراً (٢).

وعن عبد العظيم الحسني ، عن مالك بن عامر عن المفضل بن زائدة ، عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى الفناء ، ومن ادعى سماعا من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك ، وذلك الباب المأمون على سر الله المكنون . (٣)

فيتعين بعد كل هذه الروايات الشريفة الواضحة أن الامام قصد من رواة الحديث من يروون حديثهم خصوصا مع درايتهم بحديثهم ما أمكنهم الى ذلك سبيلاً ، ولا يعملون بآراءهم وظنونهم .

منازل الشيعة:

لقد أعطى الائمة معياراً واضحاً لمعرفة منازل الشيعة عندهم ، وهو يعتمد على مقدار رواياتهم عنهم ، فعن محمد بن سنان ، عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا .(٤) ،وهم طبعًا لا يقصدون بذلك الكم فقط بل النوع أهم عندهم ، وكما ورد عنهم : حديث تدريه خير من الف حديث ترويه .

كذلك فان الائمة يحثون شيعتهم على الفهم مع الرواية ، عن محمد بن أحمد بن حماد المروزي المحمودي ، يرفعه قال : قال الصادق (عليه السلام) : اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا ، فانا لا نعد الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدثا ، فقيل له : أو يكون المؤمن محدثا ؟ قال : يكون مفهَّماً ، والمفهَّم المحدَّث .(٥)

---

(١) الأصول الستة عشر - عدة محدثين - ص ٣٤

(٢) (٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٤) (٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٤٩ .

وفي روايةٍ يقرنُ الامام الصادق الروايةَ بالفهم حيث قال (عليه السلام) : إعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنا وفهمهم منا (١) .

فليست الرواية فقط تكون من طريق أهل البيت بل حتى فهم الرواية ودرايتها ينبغي أن يكون منهم لا من غيرهم . فإن الرواية تحتاج إلى الدراية ، وخبر تدريه خير من ألف خبر ترويه (٢) .

من هنا يتبين مدى إهتمام الأئمة بحملة حديثهم ، ورعايتهم لهم وبيان فضلهم ومنزلتهم ، لأنهم حجتهم على الشيعة " فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم " ، عن أحمد بن إبراهيم المراغي قال : ورد على القاسم بن العلاء - وذكرتوقيعاً شريفاً يقول فيه : فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا ، قد عرفوا بأنا نفاوضهم سرنا ،ونحَمِّلهم إياه إليهم (٣) .

غيبة الامام الثاني عشر الذي هو عدل القران :

لا شك أن الغيبة الكبرى - التامة - للامام الحجة ابن الحسن – سنة ٣٢٩ للهجرة –تعد حدثاً كبيراً نزل على رؤوس الشيعة كالزلزال ، وذلك لأن الشيعة لم يعد بإمكانهم الاتصال بإمامهم مباشرة او بالواسطة . ولعمري فإن التيه الذي أورثته هذه الغيبة للشيعة أكبر من تيه بني اسرائيل حين عبدوا العجل . حيث انقطع عنهم حديث العصمة وبقي حديث الائمة المحفوظ في صدور المحدثين والمدون في الاصول المكتوبة من قبل الاصحاب . وكان أول من انبرى لجمع هذا الحديث وتدوينه وحفظه من الضياع هو ثقة الاسلام الكليني ، وكان هذا في أواخر الغيبة الصغرى في كتابه الكافي ،معتمداً على الاصول الصحيحة التي دونها الاصحاب سماعاً من الائمة مباشرة أو ممن سمع منهم .

نقل صاحب الحدائق ما صرح به الشهيد الثاني (أعلى الله تعالى رتبته) في شرح الدراية واصفاً هذه الاصول ، حيث قال : " كان قد استقر أمر الإمامية على أربعمائة مصنف سموها أصولاً فكان عليها إعتمادهم ، تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول ، ولخصها جماعة في كتب خاصةتقريباً على المتناوِل . وأحسن ما جمع منها : الكافي . والتهذيب . والاستبصار . ومن لا يحضره الفقيه " (٤) .ونقل عن الشيخ البهائي في حقها ما لا يقل عن ذلك ايضاً .

---

(١)(٢) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٩ .

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٤٩ – ١٥٠

(٤)الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج ١ - ص ١٨ – ١٩

ثم جاء بعد الشيخ الكليني الشيخ الثقة أبو جعفر ابن بابويه القمي فجمع أحاديث أهل البيت في مجموعة من كتبه التي تعد مرجعاً لكل من يسعى الى حديثهم . فكتب من لا يحضره الفقيه وعيون أخبار الرضا وعلل الشرائع والخصال ومعاني الاخبار والتوحيد والامالي وغيرها ، وكلها كتب حديثية .

بعد ذلك جاء الشيخ ابو جعفر الطوسي الذي كتب موسوعتين حديثيتين جمع فيهما حديث أهل البيت عليهم السلام وهما كتابي التهذيب والاستبصار .ثم جاءت بعدها كتب أُخرى في أزمان لاحقة مثل الوافي للفيض الكاشاني وبحار الانوار للعلامة المجلسي وكتاب وسائل الشيعة للحر العاملي ومستدرك الوسائل للميرزا النوري .

وقد إتفقت كلمة فقهاء الشيعة على إعتبار هذه الكتب الاربعة التي كتبها المحمدون الثلاث أفضل وأصحما كُتِب في حديث أهل البيت على الاطلاق .

إن ما حصل للعامة بعد رسول الله " صلى الله عليه واله " من التشكيك في حديث رسول الله واختراع مناهج وقواعد مبتدعة تحكم شرع الله ، هو بعينه قد حصل للشيعة بعد غيبة الامام الحجة ، فهم بعد أن شكوا في صحة الحديث الوارد من طريق الائمة بحجة إنسداد باب العلم وعدم إمكان معرفة الحكم الواقعي واختلاط الروايات غثها بسمينها وعدم الاطمئنان الى صحة صدورها من المعصوم الا بعد الوقوف على طريق موصلة الى الاطمئنان بصحتها ، راحوا يبحثون عن هذه الطريق .

يقول السيد محمد باقر الصدر – الاصولي المعروف - : " وهكذا بدأ الأصوليون في مستهل العصر الثالث يتساءلون : هل يمكننا أن نظفر بدليل شرعي على حجية الخبر الظني أو لا ؟ وعلى هذا الأساسوُجِد في مستهل العصر الثالث إتجاه جديد يدّعي إنسداد باب العلم ، لأن الأخبار ليست قطعية وإنسداد باب الحجة لأنه لا دليل شرعي على حجية الاخبار الظنية ، ويدعو إلى إقامة علم الأصول على أساس الاعتراف بهذا الانسداد ، كما يدعو إلى جعل الظن بالحكم الشرعي أي ظنأساساً للعمل ، دون فرق بين الظن الحاصل من الخبر وغيره ما دمنا لا نملك دليلا شرعياخاصاً على حجية الخبر يميزه عن سائر الظنون . وقد أخذ بهذا الاتجاه عدد كبير من رواد العصر الثالث ورجالات المدرسة التي افتتحت هذه العصر كالأستاذ البهبهاني وتلميذه المحقق القمي وتلميذه صاحب الرياض وغيرهما ، وبقي هذا الاتجاه قيد الدرس والبحث العلمي حتى يومنا هذا " . (١)

وقال قبله إبن الشهيد الثاني : " أن باب العلم القطعي بالأحكام الشرعية التي لم تعلم بالضرورة من الدين أو من مذهب أهل البيت عليهم السلام في نحو زماننا هذا منسدقطعاً ، إذ الموجود من أدلتها لا يفيد غير الظن ، لفقد السنة المتواترة ، وانقطاع طريق الاطلاع على الاجماع من غير جهة النقل بخبر الواحد ، ووضوح كون أصالة البراءة لا يفيد غير الظن ، وكون الكتاب ظني الدلالة . وإذا تحقق انسداد باب العلم في حكم شرعي كان التكليف فيه بالظن قطعا " .(٢)

---

(١)المعالم الجديدة للأصول - السيد محمد باقر الصدر - ص ٩٣ – ٩٤.

(٢)معالم الدين وملاذ المجتهدين - ابن الشهيد الثاني - ص ١٩٢

إن قول هؤلاء بإنسداد باب العلم من طريق حديث أهل البيت كان نتيجة حتمية من نتائج الانجرار وراء المناهج المخترعة من قبل فقهاء العامة البعيدين أصلا عن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) .

ولقد كان لتجربة العامة دور بالغ في تحديد مسار البحث عن هذه الطريق ، فكان الاعتماد على أصول الفقه الذي يعتمد على قواعد مغايرة لقواعد أهل البيت في معرفة الحكم الشرعي ، وكان الاعتماد على قواعد الرجال وتقسيم الاحاديث الى أقسام اعتماداً على الجرح والتعديل وأحوال السند .

فشرق القوم وغربوا واتسعت هوة الإختلاف في الاراء بما لم يكن موجوداً عند أهل البيت بل ولا عند العامة أيضاً . يقول المحقق البحراني : (قد صرح شيخنا البهائي في كتاب مشرق الشمسين وقبله المحقق الشيخ حسن (أعلى الله رتبتهما) في مقدمات كتاب المنتقى بما ملخصه : أن السبب - الداعي إلى تقرير هذا الاصطلاح في تنويع الحديث إلى الأنواع الأربعة - هو أنه لما طالت المدة بينهم وبين الصدر الأول وبعدت عليهم الشقة وخفيت عليهم تلك القرائن التي أوجبت صحة الأخبار عن المتقدمين . وضاق عليهم ما كان متسعاً على غيرهم . التجأوا إلى العمل بالظن بعد فقد العلم . لكونه أقرب مجازاً إلى الحقيقة عند تعذرها ، وبسبب التباس الأخبار غثها بسمينها وصحيحها بسقيمها التجأوا إلى هذا الاصطلاح الجديد . وقربوا لنا البعيد ، ونوعوا الحديث إلى الأنواع الأربعة) (١) .

الحديث هو مذهب المحدثين الاوائل:

إن الشيعة لما حصلت الغيبة الكبرى صاروا الى طريقين اثنين :

الاول : هو طريق المحدثين الذين تمسكوا بما وصلهم من حديث أهل البيت الذي أوصى به الامام الحجة وبحملته من المحدثين – رواة حديثنا – بعد أن سلّموا بصحته وصحة طريقه الى أهل البيت عليهم السلام .

والثاني : هو طريق أهل الرأي والاجتهاد ويكاد يكون منعدماً في زمن المعصومين وغير ظاهر في بداية الغيبة الكبرى .

فكان عمل الفقهاء من الطريق الاول على الحديث المروي عن العالم " عليه السلام " في أخذ معالم دينهم من عقيدة وأحكام شرعية وغيرها مما يتعلق بأمور الدين ، يقول محمد أمين الإسترآبادي: " الصواب عندي مذهب قدمائنا الأخباريين-ويقصد بهم المحدثين- وطريقتهم ، أما

---

(١)الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج ١ - ص ١٥

مذهبهم فهو أن كل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش ، وأنكثيراً مما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) من الأحكام ومما يتعلق بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) من نسخ وتقييد وتخصيص وتأويل مخزون عند العترة الطاهرة (عليهم السلام) وأن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية ، وكذلك كثير من السنن النبوية (صلى الله عليه وآله) . وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية أصلية كانت أو فرعية إلا السماع من الصادقين (عليهم السلام) "(١) .

الى أن يقول : " وأما طريقتهم فهي أنهم لم يعتمدوا فيما ليس من ضروريات الدين من المسائل الكلامية والأصولية والفقهية وغيرها من الأمور الدينية إلا على الأخبار الصحيحة الصريحة المروية عن العترة الطاهرة (عليهم السلام) " (٢).

فالمحدثون الاوائل كانت فتواهم الرواية لا الرأي ، وقد أكد ذلك جملة من كبار الاصوليين الشيعة ، ومنهم السيد الخميني الذي يقول : " بل راوي الحديث في زمانهم كانفقيهاً ، فإن الظاهر من قوله : (ممن روى حديثنا) أي كان شغله ذلك ، وهو الفقيه في تلك الأزمنة ، فإن المتعارف فيها بيان الفتوى بنقل الرواية ، كما يظهر للمتتبع " (٣).

ويقول تلميذه السبحاني مقرراً لبحثه : " أضف إليه : ان التقليد الابتدائي كان غير ممكن في تلك الأزمنة التي لم يكن ذكر الفتاوى وتدوينها في كتابمرسوماً ، وكان الرائج ، تدوين الأحاديث والروايات صحيحها وضعيفها ، وما كان يعتمد عليه مؤلفه ، أو لا يعتمد ، في الأصول والكتب ، فمن أين كان يمكن للعامي أن يرجع إلى الميت ويأخذ آرائه ، ولم يكن تدوين الحديثدليلاً على الافتاء به حتى يستكشف من تدوينه ، الافتاء بمضمونه لما عرفت من تدوينهم الصحيح والضعيف ، نعم قد كان الافتاء عند السؤال شفاها بنفس نقل الرواية ، وهو غير ما نحن فيه . وقد كان السيرة على هذا المنوال إلى زمنالصدوقَين ، إلى أن تطور الامر ، وصارت تدوين الفتاوى بنقل متون الروايات بحذف اسنادهادارجاً من غير تجاوز عن حدود ما وردت فيه الروايات " (٤).

ويقول المنتظري : " فالظاهر أن المقصود بمعرفة الأصحاب لها معرفتهم لمضمونها بعنوان الحكم الشرعي وأنه مطابق لرأي الامام . فيكون المقصود بالشهرة في الحديث ، إشتهار الافتاء

---

(١) الفوائد المدنية والشواهد المكية - - ص ١٠٤

(٢) الفوائد المدنية والشواهد المكية - محمد أمين الإسترآبادي - ص ١٠٨ ــ ١٠٩

(٣) الاجتهاد والتقليد - السيد الخميني - ص ٢٧

(٤) تهذيب الأصول - تقرير بحث السيد الخميني ، للسبحاني - ج ٣ - ص ٢٠٣ - ٢٠٤

بالرواية بين الأصحاب وإن كان راويهواحداً أو اثنين ويترك الرواية التي لم يُفتِ بها المشهور بل أعرضوا عنها . نعم إفتاء أكثر القدماء من أصحابنا كان بنفس نقل الرواية "(١) . وهذا منهم التزام بما كان متبعا في زمن الائمة وما كانوا يأمرون به .

فالفقهاء الشيعة كانوا محدّثين لا يعملون الا بالرواية والاخبار المروية عن المعصومين "عليهم السلام " ، يعرف منهم ذلك المخالف والمؤالف . لذا فالمدرسة الحديثية الاخبارية هي المدرسة التي أمر بها المعصوم ومارسها مع أصحابه ، ومن هنا فاننا نجد ان كبار الفقهاء الشيعة الاوائل هم من المدرسة الحديثية الاخبارية أمثال ثقة الاسلام الكليني والشيخ الصدوق ، ومن يقرأ ما صرح به الكليني في مقدمة كتابة الكافي يعرف ذلك ، حيث قال :

" وذكرت أن أمورا " قد أشكلت عليك ، لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها ، وأنك تعلم أن اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها ، وأنك لا تجد بحضرتك من تذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها ، وقلت : إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين ، ما يكتفي به المتعلم ، ويرجع إليه المسترشد ، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل ، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، وقلت : لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سببا " يتدارك الله [تعالى] بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويقبل بهم إلى مراشدهم . فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحدا " تمييز شئ مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه ، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام : " اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه " و قوله عليه السلام : " دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم " وقوله عليه السلام " خذوا بالمجمع عليه ، فإن المجمع عليه لا ريب فيه " ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله ولا نجد شيئا " أحوط ولا أوسع من رد علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسع من الأمر فيه بقوله عليه السلام : " بأيهما أخذتم من باب التسليم وسعكم " . (٢)

وكذلك الحال مع كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق حيث يقول في خطبة كتابه :

" فأجبته - أدام الله توفيقه - إلى ذلك لأني وجدتهأهلاً له ، وصنفت له هذا الكتاب بحذف الأسانيد لئلا تكثر طرقه وإن كثرت فوائده ، ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه ، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي - تقدس ذكره وتعالت قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة ، عليها المعول وإليها المرجع ، مثل كتاب حريز بن عبد الله السجستاني وكتاب عبيد الله بن علي الحلبي وكتب علي بن مهزيار الأهوازي ، وكتب الحسين بن سعيد ، ونوادر أحمد بن محمد بن عيسى وكتاب

---

(١) نهاية الأصول - الشيخ المنتظري - ص ٥٤٢

(٢)الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٨ — ٩ .

نوادر الحكمة تصنيف محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري وكتاب الرحمة لسعد بن عبد الله وجامع شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه ونوادر محمد بن أبي عمير وكتب المحاسن لأحمد بن أبي عبد الله البرقي ورسالة أبي - رضي الله عنه - إلي وغيرها من الأصول والمصنفات التي طرقي إليها معروفة في فهرس الكتب التي رويتها عن مشايخي وأسلافي - رضي الله عنهم - وبالغت في ذلك جهدي ،مستعيناً بالله ،ومتوكلاً عليه ،ومستغفراً من التقصير ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل " . (١)

فيكون الفهم الصحيح لقول الامام " فارجعوا الى رواة حديثنا " بحسب الطريق الاول أن حجية رواة الحديث متأتية من كونهم رواة حديث المعصومين فقط يروون حديثهم ويفهمونه ويدرون العام والخاص فيه والمحكم والمتشابه ، بحسب قواعد الدراية المنقولة عنهم (عليهم السلام) لا ما يلقيه العامة من قواعد دخيلة .

وقد جاءت جملة من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تبين أسباب إختلاف الروايات وطريقة التعامل معها ، نذكر بعضها ليتضح لنا الطريق الذي يريدنا الائمة أن نتبعه لمعرفة الحكم الصحيح منها :

فعن عمر بن حنظلة في مقبولته كما يسمونها قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا ، وإن كان حقا ثابتا له ، لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى : " يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ". قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله . قلت : فإن كان كل رجل اختار رجلا من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما ، واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم ؟ قال : الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر ، قال : قلت : فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر ؟ قال : فقال : ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه ، وإنما الأمور ثلاثة : أمر بين رشده فيتبع ، وأمر بين غيه فيجتنب ، وأمر مشكل يرد علمه إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك ، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم . قلت : فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟ قال : ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة ، قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان

---

(١) من لا يحضره الفقيه - ج ١ - ص ٢ – ٤ .

الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم بأي الخبرين يؤخذ ؟ قال : ما خالف العامة ففيه الرشاد . فقلت : جعلت فداك فإن وافقهما الخبران جميعا . قال : ينظر إلى ما هم إليه أميل ، حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر . قلت : فإن وافق حكامهم الخبرين جميعا ؟ قال : إذا كان ذلك فارجه حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات .(١)

ويتضح منها كيفية التعاطي مع الاخبار المتعارضة لترجيح الأصح منها ، ومن أهم هذا القواعد هي قاعدة العرض على القران التي يؤكد عليها الائمة دائماً ، وذلك لأن كتاب الله فيه تبيان كل شيء . وقد ذكرنا في الفصل الاول جملة من الروايات التي بينت ذلك ولا بأس بذكر بعضها هنا .

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شئ حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا انزل في القرآن ؟ إلا وقد أنزله الله فيه . وعن سليمان بن هارون قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حد كحد الدار ، فما كان من الطريق فهو من الطريق ، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه ، والجلدة ونصف الجلدة .(٢)

وعن المعلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال . (٣)

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه ، عن علي (ع) قال : إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوا به ، وما خالف كتاب الله فدعوه . (٤)

وفي الكافي : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به ؟ قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فالذي جاء كم به أولى به (٥).

عن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف .(٦)

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٦٧ – ٦٨ .

(٢) (٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٥٩-٦٠

(٤) المحاسن - ج ١ - ص ٢٢٦

(٥) (٦) الكافي - ج ١ - ص ٦٩ .

وقد كان المحدثون يتحرجون من القول في روايات أهل بيت العصمة بآرائهم ، ويرجعون في كل شيء منها الى المعين الصافي من حديث المعصومين ، لذلك صرح الكليني في خطبة كتابه الكافي قائلا : " فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسعأحداً تمييز شئ مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه ، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام : " إعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه " و قوله عليه السلام : " دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم " وقوله عليه السلام " خذوا بالمجمع عليه ، فإن المجمع عليه لا ريب فيه " ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله ولا نجد شيئا " أحوط ولا أوسع من رد علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسع من الأمر فيه بقوله عليه السلام : " بأيما أخذتم من باب التسليم وسعكم " .(١)

ومن القواعد المهمة جدا في هذا المقام هو معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه كما ينبغي معرفة ناسخ القران ومنسوخه ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب ، فيجيئ منكم خلافه ؟ قال : إن الحديث يُنسخ كما يُنسخ القرآن . وعن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر ؟ فقال : إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان ، قال : قلت : فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد صلى الله عليه وآله أم كذبوا ؟ قال : بل صدقوا ، قال : قلت : فما بالهم اختلفوا ؟ فقال : أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب ، فنسخت الأحاديث بعضها بعضا . (٢)

طريق المقصرة:

ومن أخطر ما ابتلي به حديث اهل البيت (عليهم السلام) هو ما يفعله قوم استعظموا ما في الروايات من مقامات أهل البيت التي لم تحتملها نفوسهم فاشمأزت منها فردوا هذه الروايات بحجة أنها مخالفة للكتاب ، فتجد أنهم ما إن يسمعوا بحديث يتحدث عن مقامات أهل البيت وكراماتهم العظيمة عند الله تعالى حتى يردوها بحجة أنها تعارض محكمات القران بزعمهم . وقد ذم الامام زين العابدين (عليه السلام) هؤلاء بقوله : " وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا ، واحتجوا بمتشابه القرآن . فتأولوه بآرائهم ، واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا ، يقتحمون في أغمار الشبهات ، ودياجير الظلمات ، بغير قبس نور من الكتاب ، ولا أثرة علم من مظان العلم

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٨ - ٩

(٢)الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٦٤ – ٦٥

بتخدير مثبطين زعموا أنهم على الرشد من غيهم " . (١)

إنحراف فقهاء الشيعة عن مسار الأئمة:

بعد غيبة الامام الثاني عشر (صلوات الله عليه وعلى ابائه) بدأ فقهاء الشيعة يتلمسون الآثار السلبية لهذه الغيبة ، ويبحثون عن سبل تداركها . ومن أولى هذه السبل هو جمع الحديث الذي كان مبعثرا في كتب الاصحاب التي كانت تدعى أصولا ، لانها كتبت على عهد المعصومين وعرضت عليهم فامضوها . سميت بالاصول الاربعمائة ، لكنها لم تكن مبوبة حسب الابواب والمواضيع فلا يسهل الوصول الى الموضوع المطلوب الا بصعوبة . فظهرت الحاجة الى جمعها وتبويبها ليسهل الوصول اليها . فجمعت الكتب الاربعة وشاعت بين فقهاء الشيعة .

قد عرفنا فيما سبق أن طريقة المتقدمين من الفقهاء كانت هي الافتاء بالرواية وعدم الخروج عن الفاظها ما أمكنهم ذلك ، وقد بقي هذا المنهج مستمراً طوال فترة الغيبة الصغرى وردحاً من الزمن في فترة الغيبة الكبرى ، الا أن اختلاط فقهاء الشيعة بمدارس المخالفين وتداول طريقتهم والسماع عنهم أثر شيئاً فشيئاً في هؤلاء ، فبدأوا يتبعون طريقتهم ويستعملون أساليبهم . وهنا بدأت مدرسة الرأي والاجتهاد تظهر على الساحة الشيعية يقابلها إنحسار مدرسة الحديث بسبب غلبة فقهاء الراي والاجتهاد . وقد تجلت أشكال تأثير مناهج المخالفين على فقهاء الشيعة في صور متعددة سنبين بعضها في الفصل الثالث .

---

(١)الصحيفة السجادية (ابطحي) - الإمام زين العابدين (ع) - ص ٥٢٤ .

تأثيرات مناهج المخالفين على فقهاء الشيعة:

لقد إنجرف فقهاء الامامية بعد انفتاحهم على فقهاء المخالفين ، فساروا خلفهم وتأثروا بمناهجهم وظهر ذلك جلياً في مصنفاتهم وعلى كل المستويات ،بقصدٍ - بداعي دفع تشنيع المخالف عليهم بأنهم لا يملكون فقهاً تفريعياً أو نأهم لا يملكون أصولاً - أو بدون قصدٍ متابعة لمشايخهم الذين سبقوهم من باب حسن الظن بهم . وقد تجلى ذلك في كثير من حقول المعارف الشرعية ، ومنها :

اولاً: المناهج التفسيرية:

فقد ألّف الكثير من فقهاء الشيعة تفاسيرهم لكتاب الله على غرار ما ألفه فقهاء العامة . وصرحوا بإعجابهم بما كتبه هؤلاء من تفاسير ، فقد صرح أحمد رضا في مقدمته التي كتبها في تفسير الشيخ الطبرسي (مجمع البيان) في معرض تعداده لمشاهير المائة الثالثة من الأعلام : " وفي المائة الثالثة : اشتهر بالتفسير محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير الذي جمع فأوعى ، وهو البحر الذي ورده أكثر من تأخر عنه من المفسرين .. " (١) . ولقد صدق أحمد رضا حين قال بأن أكثر من تأخر عنه من المفسرين قد ورد بحره .

ثم أضاف أحمد رضا في الصفحة التالية من نفس الكتاب : " وفي المائة السادسة : اشتهر جار الله الزمخشري صاحب (الكشاف) الذي لم يؤلف فيبابه مثله جودةً وإتقاناً " (٢)

وقال بعد ذلك بسطور : "وفي المائة السابعة : إشتهر البيضاوي صاحب التفسير المشهور المسمى بأنوار التنزيل الذي تناوله العلماء بالشروح والتعاليق ، واتخذه طلاب التفسير منلراً لهم " (٣) .

وأنت تلاحظ مدى انبهارهم بهؤلاء المخالفين واطرائهم لهم من خلال هذه الكلمات ، بل إنهم نسجوا ما ألفوا من تفاسير على منوال تفاسير اؤلئك ، واقتبسوا كثيرا من عباراتهم بلا تغيير، وأودعوها في ما صنفوه إظهاراً لإعجابهم بها ومتابعة لهم عليها . وأما صاحب الميزان فقد أكثر من ذكر آراء مفسري العامة في كتابه الميزان في تفسير القران ، أكثر من ذكره لأقوال أئمة أهل البيت "عليهم السلام" في كثير من الايات القرانية محل الخلاف .

---

(١)(٢)(٣) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٢٨ - ٢٩.

بل إنك تلاحظ ان المرجع المفسر المعاصر ناصر مكارم الشيرازي يصرح بأنه ومجموعته التي شاركته في إنجاز تفسيره (الامثل) قد أخذوا من تفاسير المخالفين ، بل حتى من تفسير سيد قطب الناصبي حيث قال : " ولكي لا تبقى نقطة غموض أمام القارئ الكريم نشرح باختصار منهج عملنا في هذا التفسير .قسمت الآيات الكريمة أولاً في الفروع المختلفة بين الاخوة وبتوجيه موحد ، ودرسوا المصادر المختلفة في التفسير لكبار المفسرين من علماء الشيعة وأهل السنة ، مثل : ١ - مجمع البيان للشيخ الطبرسي . ٢ - أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي . ٣ - الدر المنثور لجلال الدين السيوطي . ٤ - البرهان للمحدث البحراني . ٥ - الميزان للعلامة الطباطبائي . ٦ - المنار ، تقرير دروس للشيخ محمد عبده . ٧ - في ضلال القرآن للأستاذ سيد قطب . ٨ - المراغي لأحمد مصطفى المراغي . ٩ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي . ١٠ - روح الجنان لأبي الفتوح الرازي . ١١ - أسباب النزول للواحدي . ١٢ - تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ١٣ - روح المعاني للعلامة شهاب الدين الآلوسي . ١٤ - نور الثقلين لعبد علي بن جمعة الحويزي . ١٥ - الصافي للملا محسن الفيض الكاشاني . ١٦ - التبيان للشيخ الطوسي . وتفاسير أخرى . . . . ثم جمعنا من المفاهيم ما يتناسب مع متطلبات عصرنا واحتياجاته ، وفي الجلسات العامة التي عقدناها يوميا أضفنا إلى كل ذلك المستجدات الضرورية من المعارف القرآنية ، وبعد دراسات ومشاورات حول المباحث المختلفة ، ومراجعة المصادر المتنوعة ، أُ ملِيَت تلك البحوث ودونها الإخوان بسرعة ، ثم راجعنا الكتابات ودققنا فيها بصبر وسعة صدر ، وأعددناها للطبع ، وبعد الطبع أيضاً - وقبل مرحلة النشر - أعيد النظر فيها مرة أخرى . وكانت نتيجة هذه الجهود ما يراه القارئ العزيز ، ونرجو أن يكون بإذن الله نافعاً مفيداً للجميع " (١) .

ومن الواضح أنه لولا التأثر بمنهج المخالفين في تفسير القران والاعجاب به لما كان هناك حاجة للأخذ من كتبهم التفسيرية وترديد مقولاتهم فيها .

وكنموذج توضيحي يكشف حجم التأثر عند مفسري الشيعة فاني أضع هنا نص منشور قمت بنشره في صفحتي على الفيسبوك عنونته بـ " حرامي البيت " يبين عينة من عينات الاختراق في المنهج التفسيري عند أرباب التفسير عند الشيعة :

حرامي البيت : في البداية أرجو قراءة هذه الروايات عن أهل بيت العصمة .

١- عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من فسر القرآن برأيه ، إن أصاب لم يوجر ، وإن أخطأ خر أبعد من السماء . (٢) .
٢- وعن عمار بن موسى ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل عن الحكومة فقال : من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر ، ومن فسر آية من كتاب الله فقد كفر(٣) .

---

(١)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي - ج ١ - ص ١٢ .

(٢)(٣) وسائل الشيعة - ج ٢٧ - ص ٢٠٢ – ٢٠٣

٣- عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من فسر القرآن برأيه ان أصاب لم يوجر و أن أخطأ فهو أبعد من السماء . (١)
٤- في كتاب التوحيد باسناده إلى الريان بن الصلت عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله جل جلاله ما آمن بي من فسر برأيه كلامي .(٢)
٥- وقال العالم عليه السلام : فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء ، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله ، وتأويله لا يشبه كلام البشر ، كما ليس شئ من خلقه يشبهه ، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئا من أفعال البشر ، ولا يشبه شئ من كلامه كلام البشر ، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم ، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل . (٣)

بعد هذه الاحاديث الواضحة وغيرها كثير ، هل هناك مجال لتفسير كتاب الله بعيدا عن كلام أهل بيت العصمة ؟؟ طيب دعونا نرى ما يقول أحد مفسري القران الشيعة حول تفسير قوله تعالى : " عم يتسائلون عن النبأ العظيم "مبيناً معنى النبأ العظيم . إنه المرجع الكبير الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أحد أبرز مراجع حوزة قم المقدسة المعاصرين .

يقول سماحته : " أورد المفسرون آراء متباينة في المقصود من " النبأ العظيم " ، فمنهم من إعتبره إشارة إلى يوم القيامة ، ومنهم من قال بأنه إشارة إلى القرآن الكريم ، ومنهم من إعتبره إشارة إلى أصول الدين من التوحيد حتى المعاد . وقد فسرته الروايات بالولاية والإمامة (وسنشير إلى ذلك في البحوث الآتية) . وبنظرة دقيقة إلى مجموع آيات السورة وسياق طرحها ، وما ذكرته الآيات اللاحقة من ملامح القدرة الإلهية بعرض بعض مصاديقها في السماء والأرض ، وبعد هذا العرض تؤكد إحدى الآيات ، إن يوم الفصل كان ميقاتاً ثم مخالفة وعدم تقبل المشركين لمبدأ " المعاد " ، كل ذلك يدعم التفسير الأول القائل : **بأن النبأ العظيم هو يوم القيامة** " (٤).

فمع أن سماحته أشار الى تفسير الروايات للنبأ بأنه الولاية والامامة لكنه ترك هذا المعنى واختار غيره .

طيب الآن لنر ما يقوله أهل بيت العصمة عن تفسير هذه الاية ومدى مطابقته لتفسير جناب الشيخ :

---

(١) تفسير العياشي - ج ١ - ص ١٧ .

(٢) تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي - ج ١ - ص ٣١٧ – ٣١٨ .

(٣) التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٩ - ص ٣١٩ – ٣٢٠

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عمير ، أو غيره ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية " عم يتساءلون عن النبأ العظيم " قال : ذلك إلي إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم اخبرهم ، ثم قال : لكني أخبرك بتفسيرها ، قلت : " عم يتساءلون " ؟ قال : فقال : **هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني** . (١)

٢ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ، ومحمد بن عبد الله ، عن علي بن حسان ، عن عبد الله بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : " عم يتساءلون عن النباء العظيم " قال : **النبأ العظيم الولاية** ، وسألته عن قوله " هنالك الولاية لله الحق " قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام . (٢)

٣ - حدثنا حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بقم في رجب سنة تسع وثلثين وثلاثمأة قال حدثني أبي عن ياسر الخادم عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال قال رسول الله " ص " لعلي عليه السلام : " يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله **وأنت النبأ العظيم** وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الاعلى يا علي أنت امام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين يا علي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر يا علي أنت خليفتي على أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداتي يا علي أنت المظلوم بعدي يا علي أنت المفارق بعدي يا علي أنت المحجور بعدي اشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي أن حزبك حزبي وحزبي حزب الله وان حزب أعدائك حزب الشيطان .... " (٣)

٤ - وفي رواية الأصبغ : والله **إني أنا النبأ العظيم الذي هم مختلفون** كلا سيعلمون حين أقف بين الجنة والنار فأقول : هذا لي وهذا لك .(٤)

٥ – وفي الدعاء : " ... يا بن السبل الواضحة ، يا بن الأعلام اللائحة ، يا بن العلوم الكاملة ، يا بن السنن المشهورة ، يا بن المعالم المأثورة ، يا بن المعجزات الموجودة ، يا بن الدلائل المشهودة ، يا بن الصراط المستقيم ، **يا بن النبأ العظيم** ، يا بن من هو في أم الكتاب الله علي حكيم ... " . (٥)

---

(١) الكافي - ج ١ - ص ٢٠٧

(٢) الكافي - ج ١ - ص ٤١٨

(٣) عيون أخبار الرضا (ع) - ج ١ - ص ٩

(٤) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٢٧٧
(٥) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ١ - ص ٥١٠

ولا تتصور أخي العزيز أن سماحة الشيخ هو الوحيد الذي ضرب الروايات عرض الجدار وفسر الآية برأيه ، بل يكفيك أن تتصفح تفسير غيره من الاعلام لتطلع على عِظَم الكارثة ، أنظر الى تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي وتفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية وفي ضلال القران للسيد فضل الله وغيرهم لترى مدى التخبط ، وعظم مظلومية أهل البيت ممن ينتحل ولايتهم ، إذ لا شأن لنا بمخالفيهم الذين صرحوا بأنهم على غير طريقتهم .

وحتى لا يبقى لدى أحد ممن يقرأ هذه السطور شك في صحة ما نقول نحاول هنا أخذ عينة بسيطة وهي قوله تعالى : " أهدنا الصراط المستقيم " ونرى ما تفسره التفاسير الروائية الحديثية . ونقارنها بما يفسره مفسروا الشيعة في التفاسير غير الروائية التي يفسر أصحابها كتاب الله بالرأي لا بالنص منهم عليهم السلام:

١- في تفسير أبي حمزة الثمالي (١) يقول : حدثنا محمد بن الحسين ، عن النضر بن سويد ، عن خالد بن حماد ومحمد بن الفضيل ، عن الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : أوحى الله إلى نبيه * (فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) * قال [في تأويله :] انك على ولاية علي وعلي هو الصراط المستقيم .
أقول : فالصراط المستقيم هو ولا ية امير المؤمنين.

٢- وفي تفسير العياشي (٢) عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " اهدنا الصراط المستقيم " يعنى أمير المؤمنين صلوات الله عليه .
أقول : نفس التفسير هنا ولا خلاف.

٣- وفي تفسير القمي (٣) قال : وحدثني أبي عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الصراط المستقيم قال هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب وفي قوله الصراط المستقيم .
أقول : الكلام واضح لا يحتاج الى بيان.

٤- وفي تفسير نور الثقلين (٤) وباسناده إلى أبى عبد الله عليه السلام قال : والله نحن الصراط المستقيم . في كتاب معاني الأخبار باسناده إلى أبى عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : " اهدنا الصراط المستقيم " قال : هو أمير المؤمنين ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين قول الله عز وجل : " وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم " وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله : " اهدنا الصراط المستقيم " .

---

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي - أبو حمزة الثمالي - ص ٢٩٩

(٢) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - ج ١ - ص ٢٤٤

(٣) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ١ - ص ٢٨ - ٢٩٩

(٤) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي - ج ١ - ص ٢١١

أقول : لا خلاف بين كتب التفسير الروائية على ذلك فالصراط المستقيم هو ولاية امير المؤمنين والائمة من بعده.

لكن تعالوا نرى ما يقوله الاخوة أصحاب التفاسير الاخرى التي لا تعتمد على روايات التفسير المنقولة عن اهل البيت.

١- فهذا شيخ الطائفة في التبيان (١) ماذا يقول:

وقيل في معنى قوله : " الصراط المستقيم " وجوه : أحدها - إنه كتاب الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود والثاني - انه الاسلام حكي ذلك عن جابر وابن عباس والثالث - انه دين الله عز وجل الذي لا يقبل من العباد غيره والرابع - انه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (ع) القائمون مقامه صلوات الله عليهم وهو المروي في أخبارنا التفسير والأولى حمل الآية على عمومها لأنا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى له

٢- ومثله في تفسير جوامع الجامع (٢)يقول الشيخ الطبرسي : و * (الصراط المستقيم) * هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره ، وإنما سمي الدين صراطا لأنه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنة كما أن الصراط يؤدي بمن يسلكه إلى مقصده ،

٣- وفي تفسير مجمع البيان (٣) يكررالشيخ الطبرسي ما قاله الطوسي في تبيانه : وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه : أحدها : إنه كتاب الله ، وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن علي عليه السلام ، وابن مسعود وثانيها : إنه الاسلام ، وهو المروي ، عن جابر ، وابن عباس وثالثها : إنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ، عن محمد بن الحنفية والرابع : إنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة القائمون مقامه ، وهو المروي في أخبارنا . والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه ، لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به ، من التوحيد والعدل وولاية من أوجب الله طاعته.

٤- وفي تفسير الميزان يقول السيد الطباطبائي (٤) بعد ان عرض معنى الاية بكلام طويل عريض ذيله بالروايات التي تبين ان الصراط المستقيم هو امير المؤمنين:

وما ورد من شأن النزول (وهو الامر أو الحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة) لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها لان البيان عام والتعليل مطلق ، فان المدح النازل في حق افراد من المؤمنين أو الذم النازل في حق آخرين معللا بوجود صفات فيهم ، لا يمكن قصرهما على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخر بعدهم وهكذا .

---

(١) تفسير التبيان – الشيخ الطوسي - ج ١ - ص ٤٢

(٢) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٥٧

(٣) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٦٦

(٤) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١ - ص ٤٢٢

ويقول أيضا : والروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم عليه السلام أو على أعدائهم أعني : روايات الجري ، كثيرة في الأبواب المختلفة ، وربما تبلغ المئين ، ونحن بعد هذا التنبيه العام نترك ايراد أكثرها في الأبحاث الروائية لخروجها عن الغرض في الكتاب ، إلا ما تعلق بها غرض في البحث فليتذكر.

إذن فهو يعرض عن روايات أهل البيت لانها تخصص الايات بأهل البيت وهو لا يرتضي ذلك لانها خارجة عن غرض كتابه ولا أدري ما هو غرض كتابه غير بيان معاني الايات . ولكم التعليق بعد التدبر وما ينطق من قول الا لديه رقيب عتيد. . لكن قد قال أئتمنا في أكثر من مقام :

١- قال الصادق (عليه السلام) كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا (١).
٢- وقال الصادق (عليه السلام) : كذب من زعم أنه يعرفنا وهو مستمسك بعروة غيرنا (٢)
٣- وقال امير المؤمنين : يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا (٣) .

---

(١) صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - ص ٣

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٢٩

(٣) تحف العقول - ص ١٧١

ثانيا : علم الرجال وتقسيم الأحاديث :

ومن الخروق التي ظهرت جلية في منهج فقهاء الشيعة في فترة العلامة الحلي وما بعده هو تقسيم الاحاديث الموجودة في كتب الحديث الى اربعة أقسام جرياً على ما هو معمول به عند العامة حيث يقسمون الاحاديث الى : صحيح وحسن وموثق وضعيف .وهذا التقسيم لم يكن موجوداً أصلاً عند محدثي وفقهاء الشيعة قبل العلامة وأستاذه إبن طاووس .

فقد قال الحر العاملي في كتابه الجواهر السنية وهو يتحدث عن الشيخ الكليني في كيفية جمعه للكافي وتصريحه بصحة ما فيه من روايات : " والاصطلاح على تقسيم الحديث إلى أربعة أقسام لم يكن في زمانه قطعا " (١). وعلى ذلك يظهر بأن هذا التقسيم لم يكن موجودا بين فقهاء الشيعة في زمن الكليني .

وقال الشيخ عبد الرسول الغفار في كتابه (الكليني والكافي) : " قال الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني ، في " المعالم " و " المنتقى " في عدة مواضع بأن أحاديث كتبنا المعتمدة محفوفة بالقرائن ، وأن المتقدمين إلى زمن العلامة كانوا يعملون بالقرائن ، لا بهذا الاصطلاح المشهور بعده ، وأن المتأخرين قد يعملون بذلك أيضاً "(٢) .

وصرح المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة (آل البيت) بهذا المضمون نقلا عن الشيخ بهاء الدين محمد العاملي - في (مشرق الشمسين) بعد ذكر تقسيم الحديث إلى الأقسام الأربعة المشهورة - :وهذا الاصطلاح لم يكن معروفاً بين قدمائنا كما هو ظاهر لمن مارس كلامهم بل المتعارف بينهم إطلاق (الصحيح) على ما اعتضد بما يقتضي اعتمادهم عليه أو اقترن بما يوجب الوثوق به والركون إليه" (٣) .

وكذلك صرح السيد محسن الامين في كتابه أعيان الشيعة بأن تقسيم الاحاديث الى أقسامه المعروفة كان أصله من غيرنا "المخالفون" وأن العلامة أخذه عنهم ونشره في أوساط الدارسين للحديث حيث قال : " إعلم أن تقسيم الحديث إلى أقسامه المشهورة كان أصله من غيرنا ولم يكن معروفا بين قدماء علمائنا وإنما كانوا يردون الحديث بضعف السند ويقبلون ما صح سنده وقد

---

(١) الجواهر السنية (ص ٣٧٤)

(٢) (الكليني والكافي)- الشيخ عبد الرسول الغفار- ص ٤٣٩

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٣٠ - ص ١٩٨

يردونه لأمور أخر، وقد يقبلون ما لم يصح سنده لإعتضاده بقرائن الصحة أو غير ذلك ، ولم يكن معروفاً بينهم الاصطلاح المعروف في أقسام الحديث اليوم ، وأول من استعمل ذلك الاصطلاح العلامة الحلي فقسم الحديث إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف والمرسل وغير ذلك ، وتبعه من بعده إلى اليوم " (١).

وقد كشف السيد محسن الامين وهو يدافع عن العلامة ويذم الاخباريين لتهجمهم عليه عن السبب في أخذ العلامة بهذا التقسيم بقوله : " وهذا كله جهل فاضح ساعد عليه تسويل إبليس وضعف التقوى ، فأصحابنا لم يريدوا أن يكونوا محرومين من فائدة تقسيم الحديث إلى أقسامه ولا أن يمتاز غيرهم بشئ عنهم فقسموا الحديث إلى أقسامه المشهورة وتركوا للمجتهد الخيار فيما يختاره منهاوأن يكون مقبولاً عنده فمن عابها بذلك هو أولى بالعيب والذم " (٢).

فلا ينبغي أن يمتاز عنا المخالفون بشيء ولا يجوز لنا ان نكون محرومين مما عندهم ؟!!! أي تبرير أسوأ من هذا التبرير ؟ وصدق العالم (عليه السلام)حيث قال :لو كان خيراً ما سبقونا اليه . وقال : دعوا ما وافق القوم فأن الرشد في خلافهم .

ثم شرع القوم في ذبح حديث اهل البيت بهذا المنهج المستورد ، فحرموا أجيالا من الموالين بعدهم من الانتفاع بحديث أهل البيت ، لا لشيء الا لكي لا يحرموا أنفسهم من تقسيم الحديث الى أقسامه ، ومن جاء بعدهم لحسن ظنه بهم تابعهم ولم يخالف طريقتهم . لذلك ردوا معظم ما في الكتب الاربعة من حديث أهل البيت نتيجة هذا المنهج الدخيل . يقول صاحب الرياض : " أما على المحور الأول- ويقصد به تنقيح كتب الحديث الاربعة- : فقد تم تنقيح كتب الحديث الأربعة الشهيرة ، وأفرزت الصحاح والحسان منها عن الموثقات والضعاف ، وقد نهض بهذا المشروع أبو منصور جمال الدين الشيخ حسن - المعروف لدى الفقهاء بـ " صاحب المعالم " نجل الشهيد الثاني رحمهما الله - في كتابه الجليل القيم " منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان " .وهذا الكتاب يعتبر التطبيق العملي للنظرية التي تم وضعها في مدرسة الحلة على يد السيد ابن طاووس والعلامة الحلي في التقسيم الرباعي للحديث إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف . وقد دخلت هذه النظرية مرحلة التنفيذ أولاً على يد العلامة الحلي رحمه الله في كتابه " الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان " الذي دونه العلامة في عشرة أجزاء ، إلا أننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة في المكتبات "(٣) .

---

(١) (٢) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ٥ - ص ٤٠١

(٣) رياض المسائل - السيد علي الطباطبائي - ج ١ - ص ٧٨ – ٧٩ .

وعلى أساس ذلك راجت صنعة الجرح والتعديل عندهم وتلاقفوا كتب الرجال وتسابقوا على تسويد الصحائف بمصنفاتهم .وراحوا يقَيِّمون روايات الكتب الاربعة وفق ما بنوا عليه من وثاقة هذا وجرح ذاك من نقلة الحديث . ولعمري فقد أصاب الحقيقة أستاذ السيد الخوئي – الشيخ النائيني - حين قال : إن المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز .

فقد صرح الخوئي في كتابه الرجالي الضخم الجثةقائلاً : " وقد ذكر غير واحد من الأعلام أن روايات الكافي كلها صحيحة ولا مجال لرمي شئ منها بضعف سندها . وسمعت شيخنا الأستاذ الشيخ محمد حسين النائيني - قدس سره - في مجلس بحثه يقول : (إن المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز) (١).

ثم إن الخوئي نفسه يمتهن هذه الحرفة في كتابه هذا حيث يناقش في كفاية تصريح الكليني بصحة روايات الكافي قائلا : " لو سلم أن محمد بن يعقوب شهد بصحة جميع روايات الكافي فهذه الشهادة غير مسموعة ..... مضافا إلى أن إخبار محمد بن يعقوب بصحة جميع ما في كتابه حينئذ لا يكن شهادة ، وإنما هو اجتهاد استنبطه مما إعتقد أنه قرينة على الصدق . ومن الممكن أن ما اعتقده قرينة على الصدق لو كان وصل إلينا لم يحصل لنا ظن بالصدق أيضا ، فضلا عن اليقين " (٢).

وهنا يحضرني إشكال يطرحه الاخباريون على الرجاليين من الاصولية مفاده : أنكم لمّا لم تقبلوا بقول المحدثين من أمثال الكليني والصدوق في توثيق من يروون عنهم بحجة أنه قول إجتهادي مع أنه قول مبني على الحس والوجدان ، فكيف أخذتم بجرح الرجاليين لمن يروي عنهم أمثال الكليني والصدوق وهم لم يعاصروهم ولم يكتبوا عنهم الا بعد أعصار متمادية والحال أن قولهم هذا ضني حدسي ؟؟؟ وحكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد . وقد صرح الاصولي المشهور السيد كمال الحيدري بأن هذا الاشكال متين ولا يمكن رده حتى يظهر القائم .

وفي إطار إعتماد قول هؤلاء المحدثين الأجلاء بصحة ما رووه في كتبهم يقول الحر العاملي في وسائله ، وما أحسن ما قال : " ما تقدم من شهادة الشيخ ، والصدوق ، والكليني ، وغيرهم من علمائنا بصحة هذه الكتب والأحاديث ، وبكونها منقولة من الأصول والكتب المعتمدة . ونحن نقطع -قطعاً ،عادياً ، لا شك فيه - : أنهم لم يكذبوا ، وانعقاد الإجماع على ذلك إلى زمان العلامة . والعجب أن هؤلاء المتقدمين بل من تأخر عنهم كالمحقق والعلامة ، والشهيدين ، وغيرهم : إذا نقل واحد منهمقولاً عن أبي حنيفة ، أو غيره من علماء العامة ، أو الخاصة ، أو نقلكلاماً من كتاب معين ، ورجعنا إلى وجداننا نرى أنه قد حصل لنا العلم بصدق دعواه وصحة نقله ، لا الظن ، وذلك علم عادي - كما نعلم أن الجبل لم ينقلبذهباً ، والبحر لم ينقلب دماً - فكيف يحصل العلم من نقله عن غير المعصوم ، ولا يحصل من نقله عن المعصوم غير الظن ؟ مع أنه لا يتسامح ولا يتساهل من له أدنى ورع وصلاح في القسم الثاني ، وربما يتساهل

---

(١) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ١ - ص ٨١ – ٨٢

(٢) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ١ - ص ٨٥

في الأول ؟ والطرق إلى العلم واليقين كانت كثيرة بل بقي منها طرق متعددة كما عرفت . وكل ذلك واضح لولا الشبهة والتقليد ؟ ! . فكيف إذا نقل جماعة كثيرة واتفقت شهادتهم على النقل والثبوت والصحة ؟ وقد وجدت هذا المضمون في بعض تحقيقات الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني بخطه قدس سر" (١).

ثم انك لو رجعت الى كتب الرجاليين ومبانيهم فانك ستجد العجب العجاب . فما أكثر ما يوثقون رجلاً هنا ويضعفونه هناك . بل أن الرجالي منهم ينقض ما أبرمه ولو بعد حين . وهاك مثالاً بسيطاً على ذلك ، نماذج إخترناها لنبين تناقض واحدٍ من أكابر محققي الرجال وهو السيد أبو القاسم الخوئي :

تناقضات المحقق الرجالي السيد الخوئي في آرائه الرجالية :

النموذج الاول : رأيه في محمد إبن أحمد إبن خاقان .

توثيقه للرجل :

١- في كتاب الصلاة - السيد الخوئي (٢)

" أما من حيث السند فبما ذكره في المدارك من أن في الطريق النهدي المردد بين الموثق وغيره . وفيه ما لا يخفى فإن المنصرف من هذا اللفظ عند الاطلاق رجلان أحدهما هيثم ابن أبي مسروق وهو ممدوح في كتب الرجال بل بملاحظة وقوعه في أسانيد كامل الزيارات موثق ، والآخر هو محمد بن أحمد بن خاقان أبو جعفر القلانسي المعروف بحمدان وهو موثق" .

٢- في معجم رجال الحديث - السيد الخوئي (٣)

" ثم أقول : هو محمد بن أحمد بن خاقان النهدي أبو جعفر القلانسي الكوفي الآتي ، فإنه يلقب بحمدان ويأتي توثيقه في حمدان القلانسي " .

أقول : كما هو واضح فان الخوئي يقول بوثاقة الرجل حسب هذه الأقوال .

---

(١)وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٣٠ - ص ٢٥٧ – ٢٥٨

(٢)- ج ٤ - شرح ص ١٠٨ – ١٠٩

(٣) ج ٧ - ص ٢٥٩ - ٢٦٠

تضعيفه للرجل :

١- في معجم رجال الحديث - السيد الخوئي (١)

" أقول : هذه الرواية مع أنها غير قابلة للتصديق في نفسها - إذ لا يمكن أن يروي حبيب عن الصادق (عليه السلام) ذم نفسه ، بمثل هذا الذم - ضعيفة السند ، فإن محمد بن أحمد بن خاقان ، وإن حكى الشيخ توثيقه ، من العياشي إلا أن النجاشي ضعفه ، وكذلك ابن الغضائري ، على ما حكاه العلامة ، وابن داود" .

لاحظ عدول الخوئي الى ضعف الرجل هنا . فلا ندري اي القولين يقول به ؟؟ يبدو أن علم الرجال هو علم الكيل بمكيالين أو ربما اكثر .

النموذج الثاني : المفضل ابن عمر

تضعيف المفضل :

١- في كتاب الحج - السيد الخوئي (٢)

" ولكن في الوافي روي عن جعفر بن بشير عن المفضل بن عمر فتكون الرواية ضعيفة لضعف المفضل على المشهور " .

٢- في كتاب الطهارة - السيد الخوئي (٣)

" هذا ولكن الروايتين ضعيفتان فإن في سند أحداهما المفضل بن عمر والراوي في الثانية المعلي بن خنيس وهو وإن كنا نعتمد على رواياته إلا أن الصحيح أن الرجل ضعيف لا يعول عليه " .

أقول : في الموردين أعلاه يظهر أن المفضل ضعيف عند الخوئي .

توثيق المفضل :

١- في كتاب الصلاة - السيد الخوئي (٤) " والمفضل بن عمر الذي ضعفه النجاشي وغيره صريحاً وإن كان الأظهر وثاقته ، وعلي بن أحمد الدقاق وهو شيخ الصدوق ولم يوثق ، ومع هؤلاء المجاهيل والضعفاء كيف يمكن أن يكون السندمعتبراً كما ادعاه (قده) " .

---

(١) - ج ٥ - ص ٢٠٤

(٢)- ج ٤ - شرح ص ٢١٠

(٣) ج ٣ - شرح ص ١٣٠

(٤) ج ٤ - شرح ص ٣١٥ - ٣١٦

٢- في كتاب الصوم - السيد الخوئي (١) " وأما المفضل بن عمر : ففيه كلام طويل الذيل تعرضنا له في المعجم ، وهو الذي نسب إليه كتاب التوحيد ، والظاهر أنه ثقة ، بل من كبار الثقاة " .
٣- في معجم رجال الحديث - السيد الخوئي (٢)

" والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل ، ثقة ، والله العالم " .

لكن بعد ما قرأنا الموارد الثلاثة أعلاه لاحظنا المفضل ثقة بل من كبار الثقاة فأي القولين صحيح ؟؟؟؟

النموذج الثالث : جعفر بن محمد بن حكيم :

توثيق الخوئي له :

١- في كتاب الخمس ، الأول - السيد الخوئي (٣) : " ولم يظهر وجهه بعد جهالة جعفر بن محمد بن حكيم الواقع في سلسلة السند . نعم هو مذكور في اسناد كامل الزيارات ، فهي موثقة على مسلكنا لا على مسلكه قدس سره" .
٢- في كتاب الحج - السيد الخوئي (٤) : " ولكن قد عرفت أن خبر إبراهيم معتبر لأن جعفر بن محمد بن حكيم المذكور في السند وإن لم يوثق في كتب الرجال ولكنه ثقة لأنه من رجال كامل الزيارة " .

أقول : لاحظوا ان الخوئي عده من الثقات كما هو واضح .

تضعيف الخوئي له :

١- في كتاب الطهارة - السيد الخوئي(٥) : " على أن سندها ضعيف لأنهمضافاً إلى أن طريق الشيخ إلى إبن فضال لم يثبت إعتباره - أن في سندها جعفر بن محمد بن حكيم ولم تثبت وثاقته بل ذمه بعضهم إلا أنه غير ثابت لجهالة الذام " .

فهو إذن عند المحقق الخوئي ضعيف . لكن تعال معي نتعرف سبب تضعيفه :

---

(١)- ج ١ - شرح ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢)- ج ١٩ - ص ٣٣٠

(٣)- شرح ص ٣٤٢

(٤)- ج ٢ - شرح ص ٣٦٩

(٥) - ج ٦ - شرح ص ٣١٤

" فإن الكشي نقل عن حمدويه أنه كان عند الحسن بن موسى يكتب عنه أحاديث جعفر بن محمد بن حكيم إذ لقيه رجل من أهل الكوفة - سماه الكشي - وفي يده كتاب فيه أحاديث الرجل فقال له الكوفي : هذا كتاب من ؟ قال له : كتاب الحسن بن موسى عن جعفر بن محمد بن حكيم فقال له الكوفي : أما الحسن فقل له ما شئت وأما جعفر بن محمد بن حكيم فليس بشئ ، وجهالة الكوفي الذام يمنعنا عن الحكم بذمه " (١) .

فهل بعد هذا المشهد المقتبس من أفلام الخيال العلمي يمكن الاطمئنان الى ما يسمونه علم رجال ؟؟ وهو مبني على مجاهيل ، فمن الذام وما دوافعه ؟؟؟ لا نعرف ولا يعرف الخوئي ومع ذلك يأخذ بتضعيفه ثم يقول عن هذا المسكين أنه ضعيف بل ذمه بعضهم من المجاهيل . فاذا كنتم لا تاخذون عن مجهول الحال فلم أخذتم بجرح من تجهلون حاله برجل يروي حديث المعصوم ؟؟؟ هل تبينتم كما أُمِرتم ؟؟؟ ثم لماذا هذا التناقض؟ مرة تجعلونه ثقة وأُخرى تضعفونه ؟؟ ألا يستدعي تهافتكم الىرفض ما تسمونه علماً والرجوع الى منهج أهل البيت في كيفية تقييم الروايات ؟؟؟

ثالثاً : أصول الفقه :

ومن الأمور التي أخذوها عن المخالفين قواعد أصول الفقه التي كان الشافعي أول من وضعها وعمل بها . حيث يعترف السيد محمد باقر الصدر في كتابه المعالم الجديدةللاصول بذلك قائلاً :
" وعلى الضوء المتقدم الذي يقرر أن الحاجة إلى علم الأصول حاجة تأريخية . نستطيع أن نفسر الفارق ألزمني بين إزدهار علم الأصول في نطاق التفكير الفقهي السني وإزدهاره في نطاق تفكيرنا الفقهي الامامي ، فإن التأريخ يشير إلى أن علم الأصول ترعرع وازدهر نسبيا في نطاق الفقه السني قبل ترعرعه وازدهاره في نطاقنا الفقهي الامامي ، حتى إنه يقال : إن علم الأصول على الصعيد السني دخل في دور التصنيف في أواخر القرن الثاني ، إذ ألف في الأصول كل من الشافعي المتوفى سنة (١٨٢) هـ ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩) هـ بينما قد لا نجد التصنيف الواسع في علم الأصول على الصعيد الشيعي إلا في أعقاب الغيبة الصغرى أي في مطلع القرن الرابع "(٢) .

وفي موضع آخر من معالمه قال أيضاً : " وقد عرفنا سابقاً أن سبق الفقه السني تاريخياً إلى البحوث الأصولية لم ينشأ عن صلة خاصة بين علم الأصول والمذهب السني ، بل هو مرتبط بمدى إبتعاد الفكر الفقهي عن عصر النصوص التي يؤمن بها ، فإن السنة يؤمنون بأن عصر النصوص انتهى بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وبهذا وجدوا أنفسهم في أواخر القرن الثاني

---

(١) كتاب الطهارة السيد الخوئي ج٦-ص٣١٤ .

(٢) المعالم الجديدة للأصول - السيد محمد باقر الصدر - ص ٥٤ .

بعيدين عن عصر النص بالدرجة التي جعلتهم يفكرون في وضع علم الأصول ، بينما كان الشيعة وقتئذ يعيشون عصر النص الذي يمتد عندهم إلى الغيبة . ونجد هذا المعنى بوضوح ووعي في نص للمحقق الفقيه السيد محسن الأعرجي المتوفى سنة (١٢٢٧) هـ ، إذ كتب في وسائله رداً على الأخباريين يقول : " إن المخالفين لما احتاجوا إلى مراعاة هذه الأمور قبل أن نحتاج إليها سبقوا إلى التدوين لبعدهم عن عصر الصحابة وإعراضهم عن أئمة الهدى ، وافتتحوا باباً عظيماً لإستنباط الاحكام كثير المباحث دقيق المسارب جم التفاصيل ، وهو القياس . فاضطروا إلى التدوين أشد ضرورة ، ونحن مستغنون بأرباب الشريعة وأئمة الهدى ، نأخذ منهم الاحكام مشافهة ونعرف ما يريدون بديهة . إلى أن وقعت الغيبة وحيل بيننا وبين إمام العصر (عليه السلام) . . فاحتجنا إلى تلك المباحث وألف فيها متقدمونا كابن الجنيد وابن أبي عقيل ، وتلاهما من جاء بعدهما كالسيد والشيخين وأبي الصلاح وأبي المكارم وابن إدريس والفاضلين والشهيدين إلى يومنا هذا . أترانا نعرض عن مراعاتها مع مسيس الحاجة لأن سبقنا إليها المخالفون وقد قال (صلى الله عليه وآله) الحكمة ضالة المؤمن ؟!وما كنا في ذلك تبعاً وإنما بحثنا عنها أشد البحث واستقصينا أتم الاستقصاء ولم نحكم في شئ منها إلا بعد قيام الحجة وظهور المحجة " ... ثم يقول بعد ذلك : " ومما أكد في ذهن هؤلاء – ويقصد الاخباريين - الاطار السني لعلم الأصول أن ابن الجنيد وهو من رواد الاجتهاد وواضعي بذور علم الأصول في الفقه الامامي كان يتفق مع أكثر المذاهب الفقهية السنية في القول بالقياس . ولكن الواقع أن تسرب بعض الأفكار من الدراسات الأصولية السنية إلى شخص كابن الجنيد لا يعني أن علم الأصول بطبيعته سني ، وإنما هو نتيجة لتأثر التجربة العملية المتأخرة بالتجارب السابقة في مجالها .ولما كان للسنة تجارب سابقة زمنياً في البحث الأصولي فمن الطبيعي أن نجد في بعض التجارب المتأخرة تأثراً بها ، وقد يصل التأثر أحيانا إلى درجة تبني بعض الآراء السابقة غفلة عن واقع الحال"(١) .

فهو يثبت سنية علم الاصول من حيث يريد أن ينفيه ويؤيد قول الاخباريين من حيث يريد تفنيده . لا بل إنه صرح بما هو أكثر من ذلك وهو أخذ أصوليي الشيعة بمصطلحات البحث الاصولي السني وقبولهم بها . حيث قال : " وساعد على إيمان الأخباريين بالإطار السني لعلم الأصول تسرب اصطلاحات من البحث الأصولي السني إلى الأصوليين الاماميين وقبولهم بها بعد تطويرها وإعطائها المدلول الذي يتفق مع وجهة النظر الامامية . ومثال ذلك كلمة " الاجتهاد " كما رأينا في بحث سابق ، إذ أخذها علماؤنا الاماميون من الفقه السني وطوروا معناها ، فتراءى لعلمائنا الأخباريين الذين لم يدركوا التحول الجوهري في مدلول المصطلح أن علم الأصول عند أصحابنا يتبنى نفس الاتجاهات العامة في الفكر العلمي السني ، ولهذا شجبوا الاجتهاد وعارضوا في جوازه المحققين من أصحابنا " (٢).

---

(١) المعالم الجديدة للأصول - السيد محمد باقر الصدر - ص ٧٧ - ٧٩

(٢) المعالم الجديدة للأصول - السيد محمد باقر الصدر - ص ٧٩

والمتصفح لكتاب العدة في الاصول لشيخ الطائفة الطوسي يحسب أنه يقرأ كتاباً لأصولي سني محض . فآراء الشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من فقهاء المخالفين تمر بك يميناً وشمالاً كنموذج للتأثر بما عند المخالفين والاندماج بطريقتهم والأهتمام بارائهم .

كما أن السيد الصدر هنا يكشف عن أول من انخرط في مزالق العامة وبدعهم التي حذر منها أئمة أهل البيت وهما كل من ابن الجنيد البغدادي وابن أبي عقيل العماني الذين كانا أول من قال بحجية القياس الموجود عند العامة خلافاً لصريح قول أئمة أهل البيت (عليهم السلام) . وستكون لنا وقفة مع هذا الأمر فيما بعد .

رابعاً : مدرسة الاجتهاد :

ومن نتائج هذا الانفتاح على المدرسة السنية هو فتح باب الاجتهاد من قبل فقهاء الشيعة ، لكن ما هو الاجتهاد ؟ وفي الواقع إن مجرد البحث في تعريف الاجتهاد سيعرفنا بحجم الخلاف الكبير بين الفقهاء الاصوليين في معنى الاجتهاد ومدى التباين في آرائهم . فمرة يعرفه الشيخ البهائي على انه : " ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الأصل فعلاً أو قوة قريبة"(١) . ومرة يعرفه ابن الشهيد الثاني على انه : " استفراغ الفقيه وسعه في تحصيل الظن بحكم شرعي"(٢) . ويعرفه العلامة في النهاية : "استفراغ الوسع في طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعية بحيث ينتفي اللوم عليه بسبب التقصير"(٣) .

ويعرفه المحقق الحلي : " وهو في عرف الفقهاء : بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية ، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الاحكام من أدلة الشرع اجتهاداً ، لأنها (تبتنى) على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الأكثر ، وسواء كان ذلك الدليل قياساً أو غيره ، فيكون القياس على هذا التقرير أحد أقسام الاجتهاد" (٤).

ومن الواضح في كلام المحقق إن الاعتبارات النظرية غير المستفادة من ظواهر النصوص إنما هي إعتبارات ظنية ليس إلا ، وبالتالي فإن الاحكام تكون مستندة اليها صحة وخطأ .

وقد أحسن الشيخ محمد علي الانصاري عندما قال في موسوعته الفقهية : والذي يظهر من تتبع كلمات الباحثين حول هذا الموضوع هو : أن الاجتهاد بمعناه الخاص مرادف للرأي ، وأن

---

(١) زبدة الأصول - الشيخ البهائي - ص ١٥٩

(٢) معالم الدين وملاذ المجتهدين - ص ٢٣٨

(٣) زبدة الأصول - الشيخ البهائي - ص ١٥٩ .

(٤) معارج الأصول - المحقق الحلي - ص ١٧٩ – ١٨٠ .

القياس والاستحسان والمصالح المرسلة ونظائرها إنما هي من قبيل المصاديق لهذا المفهوم .(١)

ثم يضيف الشيخ محمد علي الانصاري بعد ذلك كاشفاً حقيقة موقف المعصومين من الاجتهاد قائلا : " والذي لا بد أن نشير إليه هو : أن أئمة الشيعة عليهم السلام كانوا يعارضون الاجتهاد بهذا المعنى ، وذلك لبطلان القياس والاستحسان وأمثالهما عندهم ، وقد استمرت هذه المعارضة من عصر الأئمة عليهم السلام حتى القرن السابع الهجري حيث تغير مفهوم الاجتهاد الخاص إلى مفهوم أوسع منه فتقبله الشيعة برحابة صدر مع حذف ما يخالف مبادئهم الفقهية - كالقياس والاستحسان وأمثالها - عنه ، ولكن قبل ذلك كانت المعارضة - كما قدمنا - ضد الاجتهاد شديدة جداً حتى صنف العلماءكتباً على رد الاجتهاد بهذا المعنى ، فقد صنف عبد الله بن عبد الرحمن الزبيريكتاباً سماه " الاستفادة في الطعون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس " ، وصنف أبو القاسم علي بن أحمد الكوفيكتاباً سماه " الرد على أصحاب الاجتهاد في الأحكام ". وقد أخذت المعارضة تستمر حتى أواخر القرن الرابع حيث ألف الشيخ المفيد - الذي يعتبر من رواد الاجتهاد بمعناه المقبول لدى الشيعة -كتاباً سماه " النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي ". وقد كان ابن الجنيد متهما بالعمل بالقياس والاجتهاد بالرأي . ومما يدل على ذلك ما نقله صاحب الجواهر - حول جواز قضاء الحاكم بعلمه - عن السيد المرتضى في الانتصار بقوله : " فإن قيل كيف تستجيزون إدعاء الإجماع وأبو علي ابن الجنيد يصرح بالخلاف ويذهب إلى أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه في شئ من الحقوق والحدود ؟ قلنا : لا خلاف بين الإمامية في هذه المسألة ، وقد تقدم إجماعهم ابن الجنيد وتأخره ، وإنما عول ابن الجنيد على ضرب من الرأي والاجتهاد ، وخطأه ظاهر . . . "(٢) .

وكلام الشيخ في غاية الصحة ، حيث ان الائمة سلام الله عليهم كانوا يشددون النكير على من يجتهد برأيه ولا يتبع النص . ففي المحاسن عن معاوية بن ميسرة بن شريح ، قال : شهدت أبا عبد الله عليه السلام في مسجد الخيف وهو في حلقة فيها نحو من مائتي رجل فيهم عبد الله بن شبرمة فقال : يا أبا عبد الله إنا نقضي بالعراق فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة وترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي ؟ قال : فأنصت الناس جميع من حضر للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من على يمينه يحدثهم فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الانصات . (قال :) ثم تحدثوا ما شاء الله ثم إن ابن شبرمة قال : يا أبا عبد الله إنا قضاة العراق وإنا نقضي بالكتاب والسنة وإنه ترد علينا أشياء نجتهد فيها بالرأي ؟ قال : فأنصت جميع الناس للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من على يساره يحدثهم فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الانصات ثم إن ابن شبرمة مكث ما شاء الله ثم عاد لمثل قوله : فأقبل أبو عبد الله عليه السلام فقال : أي رجل كان علي بن أبي طالب ؟ - فقد كان عندكم بالعراق ولكم به خبر ، قال : فأطرأه ابن شبرمة وقال فيهقولاً عظيماً ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : فإن علياً أبى أن يُدخِل في دين الله الرأي وأن يقول في شئ من دين الله بالرأي والمقائيس ، فقال أبو

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري - ج ١ - ص ٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري - ج ١ - ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .

ساسان : فلما كان الليل دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي : يا أبا ساسان لم يدعني صاحبكم ابن شبرمة حتى أجبته ثم قال : لو علم ابن شبرمة من أين هلك الناس ما دان بالمقائيس ولا عمل بها"(١) .

وقد حصل مثل هذا الموقف لابن شبرمة نفسه مع الامام الباقر (عليه السلام) ، ففي التهذيب عن محمد بن الوليد عن العباس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر ان ابن أبي ليلى وابن شبرمة دخلا المسجد الحرام فأتيا محمد بن علي عليه السلام فقال : لهما : بما تقضيان ؟ فقالا : بكتاب الله والسنة قال : فما لم تجداه في الكتاب والسنة ؟ قالا : نجتهد رأينا قال : رأيكما أنتما ؟ ! فما تقولان في امرأة وجاريتها كانتا ترضعان صبيين في بيت وسقط عليهما فماتتا وسلم الصبيان ؟ قالا : القافة ، قال : القافة يتجهم منه لهما ، قالا : فأخبرنا ، قال : لا ، قال ابن داود مولى له : جعلت فداك بلغني ان أمير المؤمنينعلياً عليه السلام قال : ما من قوم فوضوا أمرهم إلى الله عز وجل والقوا سهامهم الا خرج السهم الأصوب ، فسكت" (٢) .

الا تلاحظ معي أخي الموالي كيف يقف الائمة عليهم السلام موقفاً شديداً إزاء كل متصدي للاجتهاد بالرأي ؟ لكننا نرى فقهاء الشيعة يتسابقون على إبراز قدراتهم ويتفاخرون بأنهم قد فاقوا العامة في تطوير الاجتهاد والارتقاء به كما يحلو لهم أن يقولوا .

ثم إنهم تابعوا العامة في القول بالتصويب ، وهو يعني أن كل مجتهد هو مصيب لأنه قد استفرغ جهده ولم يقصر، وأنه اذا أصاب فله أجران واذا اخطأ فله أجر . وكثيرا ما نسمع ان المجتهد اذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر . وهذا يسمونه طريق المصوبة ومفاده أن الحق يمكن أن يتعدد ورأي المجتهدَين إن اختلفا فكلاهما حق . لكن ما قول أهل بيت العصمة في ذلك وهل عندهم أن الحق فعلا يتعدد ؟؟

يقول امير المؤمنين عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا : " ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد . أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه . أم نهاهم عنه فعصوه . أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه . أم كانوا شركاء له . فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول (ما فرطنا في الكتاب من شئ) فيه تبيان كل شئ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . وإن القرآن ظاهره أنيق . وباطنه عميق . لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به"(٣).

وعن أبان ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :" القضاة ثلاثة : هالكان وناج ، فأما

---

(١) المحاسن - ج ١ - ص ٢١٠ – ٢١١

(٢) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٩ - ص ٣٦٣ .

(٣) نهج البلاغة - ج ١ - ص ٥٤ – ٥٥ .

الهالكان فجائر جارمتعمداً ومجتهد أخطأ"(١) .

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها ؟ فقال : لا ، أما إنك إن أصبت لم تؤجر ، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل (٢) .
قال أبو جعفر عليه السلام : " من حكم في درهمين فأخطأ كفر " (٣)
-وروى معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : " أي قاض قضى بين اثنين فأخطأ سقط أبعد من السماء" (٤) .
قال أبو عبد الله (عليه السلام) : من شك أو ظن فأقام على أحدهما فقد حبط عمله ، إن حجة الله هي الحجة الواضحة " (٥).
-وعنه (عليه السلام) أنه قال في خطبة له :فيا عجباً ! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ! لا يقتفون أثر نبي ، ولا يقتدون بعمل وصي ، يعملون في الشبهات ، ويسيرون في الشهوات ، المعروف فيهم ما عرفوا ، والمنكر عندهم ما أنكروا ، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم ، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم ، كأن كل امرئ منهم إمام نفسه ، قد أخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات وأسباب محكمات"(٦) .

وعن الحسن بن علي بن فضال ، عن ابن بكير ، عن محمد بن الطيار قال قال لي أبو جعفر عليه السلام : تخاصم الناس ؟ - قلت : نعم ، قال : ولا يسألونك عن شئ إلا قلت فيه شيئا ؟ - قلت : نعم ، قال : فأين باب الرد إذا ؟(٧)

وعن ابن محبوب أو غيره ، عن المثنى الحناط ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي - جعفر عليه السلام : يرد علينا أشياء لا نجدها في الكتاب والسنة فنقول فيها برأينا ؟ - فقال : أما إنك إن أصبت لم توجر ، وإن أخطأت كذبت على الله .(٨)

وفي حديث آخر ، قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن قوما من أصحابنا قد تفقهوا وأصابوا علما ورووا أحاديث فيرد عليهم الشئ فيقولون فيه برأيهم ؟ - فقال : لا ، وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه ؟(٩)
وعن النضر بن سويد ، عن درست بن أبي منصور ، عن محمد بن حكيم ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنا نتلاقى فيما بيننا فلا يكاد يرد علينا شئ إلا وعندنا فيه شئ وذلك شئ أنعم الله به علينا بكم ، وقد يرد علينا الشئ وليس عندنا فيه شئ وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه ؟ فقال : لا ، وما لكم وللقياس ، ثم قال : لعن الله أبا فلان ، كان يقول : قال علي وقلت ، وقالت الصحابة وقلت ، ثم قال : كنت تجلس إليه ؟ - قلت : لا ولكن هذا قوله ، فقال أبو الحسن عليه السلام : إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا ، وإذا جائكم ما لا تعلمون فها (ووضع يده على فمه) فقلت : ولم ذاك ؟ - قال : لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس بما اكتفوا به على عهده

---

(١) بحار الأنوار - ج ١٠١ - ص ٢٧١

(٢) الكافي - ج ١ - ص ٥٦.

(٣) (٤) من لا يحضره الفقيه - ج ٣ - ص ٧

(٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٥٦.

(٦) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١٦٠

(٧) (٨) (٩) المحاسن - ج ١ - ص ٢١٢ - ٢١٥

وما يحتاجون إليه من بعده إلى يوم القيامة (١).

عنه ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد المؤمن بن الربيع ، عن محمد بن بشر الأسلمي قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وورقة يسأله فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أنتم قوم تحملون (الجدل) الحلال على السنة ونحن قوم نتبع على الأثر(٢) .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن الحق لا يتعدد وأن من أخطاه فقد وقع في الباطل لا محالة ، والنصوص بهذا المعنى كثيرة على الاحصاء .وللعلم فان حديث أن المجتهد أذا أصاب فله أجران وأذا أخطا فله أجر هو حديث منقول من طرق العامة ولا أصل له من طريق اهل البيت وهو مما تسرب الى فقه الشيعة بسبب تأثر فقهاء الشيعة بهم .

خامساً :الإجماع:

كما هو معلوم لدى الاخوة المهتمين بالعلوم الشرعية فان الاجتهاد الاصولي يعتمد على عدة أركان ، ومن هذه الاركان " الاجماع " وقد عرف الاصوليون الاجماع : بأنه إتفاق جماعة على قول بشرط أن يكون أحدهم المعصوم . وبعيدا عن الدخول في تفاصيله وأنواعه فإن ما يهمنا هنا هو هل يمكن تحقق هذا الاجماع في زماننا وهو زمان الغيبة الكبرى ؟؟؟

سنختار نماذج من أقوال الفقهاء الذين صرحوا فيها بموقفهم من الاجماع ليتبين لكم ما هي قيمة الاجماع :

١- في الحدائق الناضرة قال المحقق البحراني : على أن تحقق هذا الاجماع في زمن الغيبة متعذر . لتعذر ظهوره (عليه السلام) وعسر ضبط العلماء على وجه يتحقق دخول قوله في جملة أقوالهم (٣) .

٢- وقال في الحدائق الناضرة ايضاً في كيفية تحصيل الاجماع : إلا أن ينقل ذلك بطريق التواتر والآحاد المشابه له نقلا مستندا إلى الحس ، بمعاينة أعمال جميع من يتوقف انعقاد الاجماع عليه ، أو سماع أقوالهم على وجه لا يمكن حمل القول والعمل على نوع من التقية ونحوها ، ودونه خرط القتاد . لما يعلم يقينا من تشتت العلماء وتفرقهم في أقطار الأرض بل انزوائهم في بلدان المخالفين وحرصهم على أن لا يطلع أحد على عقائدهم ومذاهبهم (٤) .

***لاحظوا ***: دون ذلك خرط القتاد .

٣- ثم صرح المحقق البحراني في الحدائق الناضرةقائلاً : وممن صرح بامتناع انعقاد الاجماع في زمن الغيبة المحقق الشيخ حسن في كتاب المعالم ، حيث قال : الحق امتناع الاطلاع عادة على حصول الاجماع في زماننا هذا وما ضاهاه من غير جهة النقل ، إذ لا سبيل إلى العلم بقول الإمام (عليه السلام) (٥).

---

(١) (٢) المحاسن - ج ١ – ص٢١٣- ٢١٤

(٣)(٤) (٥) الحدائق الناضرة - ج ١ - ص٣٥- ٣٧

٤- ثم يبين المحقق البحراني في الحدائق الناضرة موقفه من الاجماع بقوله : وبالجملة : فإنه لا شبهة ولا ريب في أنه لا مستند لهذا الاجماع من كتاب ولا سنة . وإنما يجري ذلك على مذاق العامة ومخترعاتهم ، ولكن جملة من أصحابنا قد تبعوهم فيه غفلة ، كما جروا على جملة من أصولهم في مواضع عديدة مع مخالفتهم لما هو المستفاد من الأخبار (١).

٥- نرجع الان الى الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني في كتابه معالم الدين وملاذ المجتهدين حيث قال : والعجب من غفلة جمع من الأصحاب عن هذا الأصل وتساهلهم في دعوى الاجماع عند احتجاجهم به للمسائل الفقهية كما حكاه - رحمه الله – ويقصد به المحقق - حتى جعلوه عبارة عن مجرد اتفاق الجماعة من الأصحاب ، فعدلوا به عن معناه الذي جرى عليه الاصطلاح من غير قرينة جلية ، ولا دليل على الحجية معتد به .(٢)

٦- بل لم يكتف الشيخ حسن بذلك حتى صرح في معالم الدين يأضاً ،قائلاً : الحق امتناع الاطلاع عادة على حصول الاجماع في زماننا هذا وما ضاهاه ، من غير جهة النقل ، إذ لا سبيل إلى العلم بقول الامام . كيف وهو موقوف على وجود المجتهدين المجهولين ليدخل في جملتهم ، ويكون قولهمستوراً بين أقوالهم ؟ وهذا مما يقطع بانتفائه . فكل إجماع يدعى في كلام الأصحاب ، مما يقرب من عصر الشيخ إلى زماننا هذا ، وليس مستندا إلى نقل متواتر أو أحاد حيث يعتبر أو مع القرائن المفيدة للعلم ، فلابد من أن يراد به ما ذكره الشهيد - رحمه الله - من الشهرة (٣).

** أقول : لاحظوا أيها الاخوة بان الاصوليين من الامامية لما وجدوا أن لا فائدة من الاجماع لتعذر تحصيله عدلوا به ليكون المقصود منه الشهرة الفتوائية وليس الاجماع الاصولي وهذا تلاعب بالالفاظ معهود عندهم .

٧- وفي أصول الفقه يقول الشيخ محمد رضا المظفر بعد بيان معنى الاجماع وأقسامه وطرق تحصيله : والتحقيق : أنه يندر حصول القطع بقول المعصوم من الإجماع المحصل ندرة لا تبقى معها قيمة لأكثر الإجماعات التي نحصلها ، بل لجميعها بالنسبة إلى عصور الغيبة (٤) .

ومما يُهَوّن أمرَ الإجماع أن القوم نقضوا دعاواهم بحصول الاجماع في مواضع كثيرة . يقول الفيض الكاشاني : " وقد أفرد الشهيد الثاني رحمه الله قريبا من أربعين مسألة نقل الشيخ الطوسي فيها الاجماع مع أنه بنفسه خالف في الحكم فيها بعينه إما في كتابه ذلك بعينه أو في كتابه الاخر" (٥)

يقول الشيخ يوسف البحراني : " وعلى هذا فليس في عد الاجماع في الأدلة إلا مجرد تكثير العدد وإطالة الطريق ، لأنه إن علم دخوله (عليه السلام) فلا بحث ولا مشاحة في إطلاق إسم الاجماع عليه وإسناده الحجة فيه ولوتجوزاً ، وإلا فإن ظن ولو بمعاضدة خبر واحد فكذلك ،

---

(١) الحدائق الناضرة - ج ١ - ص ٣٩

(٢) (٣) معالم الدين وملاذ المجتهدين - ص ١٧٤ – ١٧٥

(٤) أصول الفقه - الشيخ المظفر - ج ٣ - ص ١١٦

(٥) الأصول الأصيلة - الفيض القاساني - ص ١٤٥

وإلا فليس نقل الاجماع بمجردموجباً لظن دخول المعصوم (عليه السلام) ولاكاشفاً عنه كما ذكروه " (١)

ويقول أيضاً : "والتحقيق أن أساطين الاجماع كالشيخ والمرتضى وابن إدريس وأضرابهم قد كفونا مؤنة القدح فيه وإبطاله بمناقضاتهم بعضهمبعضاً في دعواه ، بل مناقضة الواحد منهم نفسه في ذلك كما لا يخفى على المتتبع البصير ، ولا ينبئك مثل خبير(٢).

والخلاصة أن الاجماع لا قيمة له ولا فائدة ترجى منه الا في تمرير رأي الفقيه المجرد من الحجة بدعوى الاجماع عليه . والاجماع هو مما تسرب من فقه العامة الى فقهاء الشيعة . وهذه خطيئة كبرى سيحاسبون عليها امام الله وقبل ذلك من قبل الامام الحجة روحي له الفداء .

سادساً : القياس ذلك المكروب الخفي :

كثيراً ما يدافع أتباع المدرسة الاصولية عن فقهائهم بالقول أن الاجتهاد المذموم على لسان المعصوم هو القياس ، لأن الاجتهاد في زمانهم كان يتمثل بالقياس ليس إلا ، وهنا لا بد من القول إن الائمة (عليهم السلام) كانوا ينهون في كلامهم عن الرأي والقياس ويقرنون بينهما بواو العطف مما يدل على أنهما حقيقتان مختلفتان متغايرتان وأن نهي الأئمة عنهما جميعاً لا عن خصوص القياس فقط ، والا لم يصح كلامهم .

ومع ذلك فإن الباحث في كلمات الأصوليين التي يلقونها على طلابهم في البحث الفقهي والتي نشروها في مؤلفاتهم في الفقه الاستدلالي تصرح بما لا يقبل الشك بأن القياس منتشر في استنباطاتهم وفتاويهم بشكل كبير .

وهذه جولة سريعة في مؤلفاتهم حصلنا منها على بعض النماذج التي تثبت وجود القياس في أقوالهم . مع التنبيه الى أننا لن نجد من يعترف بأنه يستند الى القياس في عمله كفقيه لما عرف من أئمتنا النهي عنه ، لكننا سنستفيد من شروحات فقهاء الاصوليين لأساتذتهم ومشايخهم التي عادة ما ينتقدون نقاط الخلل فيها بعد تشخيصها ، وإنك ستجد أنهم صرحوا كثيراً بأن مشايخهم قد استعملوا القياس كثيراً :-

١- في مختلف الشيعة ـ العلامة الحلي : " وأما ابن إدريس فما أدري من أين حدد الصبوة بالحولين ، والجماعة إنما قالوا : الصبي إذا أكل الطعام ينزح له سبع دلاء وإن لم يأكل نزح له دلو واحد . ثم إحتج لقوله في بول النساء بأن حمل بولهن على الرجال في التفصيل إلى الصغير والكبير قياس متروك عندنا " (٣) .

---

(١)(٢) الحدائق الناضرة ـ المحقق البحراني ـ ج ١ ـ ص ٣٧

(٣) مختلف الشيعة ـ العلامة الحلي ـ ج ١ ـ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

٢- في مختلف الشيعة - للعلامة الحلي : " ولم نقف لغيره في ذلك على شئ ، وما قاله محتمل ، لأن رواية الحبلى تدل عليه من حيث المفهوم ، ولأنه شك في الزيادة فلا يكونمبطلاً للصلاة لإحراز العدد ولامقتضياً للاحتياط ، إذ الاحتياط يجب مع شك النقصان . فلم يبق إلا القول بالصحة مع سجدتي السهو ، مع أنه يحتمل الإعادة ، لأن الزيادة مبطلة فلا يقين بالبراءة ، والحمل على المشكوك فيه قياس ، فلا يتعدى صورة المنقول " (١) .

٣- وفي مختلف الشيعة للعلامة الحلي أيضاً :

" قال في الإنتصار - بعد الاحتجاج بالإجماع من الطائفة - : أن النية تؤثر في الشهر كله ، لأن حرمته حرمة واحدة ، كما أثرت في اليوم الواحد لما وقعت في ابتدائه . وهذا قول ضعيف ، لأنا نمنع وحدة حرمته . ولا شك في أن صوم كل يوم مستقل بنفسه قائم بذاته لا تعلق له باليوم الذي بعده ، وتتعدد الكفارة بتعدد إفطار أيامه ، ثم أنه قياس محض مع قيام الفارق بين الأصل والفرع ، فإن اليوم الواحد عبادة واحدة وانقسامها بانقسام أجزاء زمانها لا يوجب تعددها " (٢).

٤-وفي رياض المسائل للسيد علي الطباطبائي :

" (وقيل : يجوز تقديم نية شهر رمضان على الهلال) والقائل به الشيخ في النهاية والمبسوط والخلاف وعزاه فيه إلى الأصحاب ،مشعراً بالاجماع . فإن تم ، وإلا كما هو الظاهر ، إذ لم يُرَوَ ولم يُقَل له من القدماء ولا من المتأخرين موافق . فهو مشكل ، لمخالفته الأصل ، مع عدم وضوح الدليل . عدا ما قيل له : من أن مقارنة النية ليست شرطا في الصوم ، وكما جاز أن تتقدم من أول ليلة الصيام وأن يتعقبها النوم والأكل والشرب والجماع ، جاز أن تتقدم على تلك الليلة بالزمان المتقارب كاليومين والثلاثة . وهو كما ترى ، قياس مع الفارق " (٣) .

٥-أيضاً في رياض المسائل للسيد علي الطباطبائي :

" فإذن المتجه عدم الاجزاء ، كما عليه الفاضل في جملة من كتبه ، والماتن في ظاهر الكتاب والمعتبر . إلا أن فيه - بعد تضعيف ما مر - بأنه قياس محض فلا يتمشى على أصولنا " (٤) .

---

(١) مختلف الشيعة - العلامة الحلي - ج ٢ - ص ٣٩٢

(٢) مختلف الشيعة - العلامة الحلي - ج ٣ - ص ٣٧٤

(٣) (٤) رياض المسائل - السيد علي الطباطبائي - ج ٥ – ص ٢٩٩ – ٣٠١

٦-أيضاً في مختلف الشيعة للعلامة الحلي : " قال ابن إدريس : قول الشيخ : رواية شاذة من أخبار الآحاد مخالفة لأصول المذهب ، لأن الصلاة لا تجوز مع الاختيار جالسا إلا ما خرج بالدليل ، والإجماع والحمل عليه قياس . " (١) .

٧- وفي مختلف الشيعة للعلامة الحلي : " مسألة : نقل الشيخ وغيره عن بعض علمائنا إعادة الصلاة بكل سهو يلحق الركعتين الأولتين ، سواء كان في أفعالها أو عددها ، وسواء كان في الأركان من الأفعال أو غيرها ..... الى ان قال : والحمل على الإعادة للشك في العدد قياس خال عن الجامع ، فلا يكون مقبولا" (٢) .

٨-في كتاب الحج للسيد الخوئي - (مسألة ٧) : " قد عرفت أنه لو حج الصبي عشر مرات لم يجزه عن حجة الاسلام بل يجب عليه بعد البلوغ والاستطاعة ، لكن استثنى المشهور من ذلك : ما لو بلغ وأدرك المشعر ، فإنه حينئذ يجزي عن حجة الاسلام ، بل ادعى بعضهم الاجماع عليه . وكذا إذا حج المجنون ندبا ثم كمل قبل المشعر .

واستدلوا على ذلك بوجوه : أحدها : النصوص الواردة في العبد - على ما سيأتي - بدعوى عدم خصوصية العبد في ذلك ، بل المناط الشروع حال عدم الوجوب لعدم الكمال ، ثم حصوله قبل المشعر . وفيه : أنه قياس مع أن لازمه الالتزام به فيمن حج متسكعا ثم حصل له الاستطاعة قبل المشعر ، ولا يقولون به " (٣)

٩- في مصباح الفقاهة للسيد الخوئي : " ما ذكره العلامة أيضا في المختلف ، من أنه إذا جاز بيع كلب الصيد جاز بيع باقي الكلاب الأربعة ، والأول ثابت إجماعاً فكذا الثاني ، بيان الشرطية أن المقتضي للجواز هناك كون المبيع مما ينتفع به وثبوت الحاجة إلى المعاوضة ، وهذان المعنيان ثابتان في صورة النزاع ، فيثبت الحكمعملاً بالمقتضي السالم عن المعارض ، إذ الأصل انتفاؤه . وزاد عليه بعض أصحابنا : أن ما يترتب على الكلاب الثلاثة من المنافع أكثر مما يترتب على كلب الصيد ، فإذا جاز بيعه كان بيع تلك الكلاب الثلاثة أولى بالجواز . وفيه : أنه قياس واضح فقد نهينا عن العمل به في الشريعة المقدسة بالأدلة القاطعة ، وعليه فلا وجه لرفع اليد عن العمومات إلا في الكلب الصيود" (٤) .

١٠- في مصباح الفقاهة للسيد الخوئي : " وأما الناحية الثانية ، فقد استدل المصنف – الشيخ الانصاري - على حرمة بيع المصحف من الكافر بوجوه : ١ - فحوى ما دل على عدم تملك الكافر للمسلم . وفيه أولا : ...... وثانيا : لو سلمنا ثبوت الحكم في العبد المسلم فلا نسلم قياس المصحف عليه ، فإنه مضافا إلى بطلان القياس في نفسه أن في تملك الكافر للمسلم

---

(١) مختلف الشيعة - العلامة الحلي - ج ٢ - ص ٣٢٩ .

(٢) مختلف الشيعة - العلامة الحلي - ج ٢ - ص ٣٦٩ .

(٣) كتاب الحج للسيد الخوئي ج ١ - ص ٤٢ – ٤٧

(٤) مصباح الفقاهة - السيد الخوئي - ج ١ - ص ١٦٥ – ١٦٦

ذلاً عليه بخلاف تملكه للمصحف ، فإنه ربما يزيد في احترامه ، كما إذا جعله في مكتبة نظيفة للاطلاع على آياته وبراهينه ، بل قد تترتب على ذلك هدايته إلى الاسلام " (١).

١١- في مصباح الفقاهة للسيد الخوئي : " ما حكاه المصنف – الشيخ الانصاري - عن المنتهى ، من أن المال الذي اختلط بالحرام قطعا يطهر بالتخميس ، فما احتمل وجود الحرام فيه يطهر به بالأولوية القطعية . ويرد عليهأولاً : ......وثالثاً : أن هذا الوجه قياس لا يفيد إلا الظن بالواقع ، وهو لا يغني من الحق شيئا " (٢).

١٢- وفي مصباح الفقاهة للسيد الخوئي : " ثم إن من العجائب قياس الأستاذ الرد بالإجازة ، بأنه كما ليس للمالك فسخ العقد بعد إجازته وكذلك ليس له إمضائه بعد رده . ووجه العجب أن الإجازة تثبيت العقد وتقريره في مقره بخلاف الرد ، فإن كونه موجبا للفسخ أول الكلام كما عرفت" (٣) .

١٣- وفي مصباح الفقاهة للسيد الخوئي - ج ٥ - ص ٥٠٢ : " وما ذكره المصنف من قياس المقام بالتفاسخ قياس مع الفارق : (٤) .

١٤- وفي الاحصار والصد للسيد الگلپايگاني : " وعن الأستاذ حفظه الله : هذا صحيح إذا قتل حائلاً وأراد أن يفديحاملاً لأن في هذا الحال فضيلتها لتوقع الولد ولا بد أن يصبر حتى تلد كالمرأة الحامل التي لا بد وأن يصبر الحاكم حتى تلد وبعد ذلك يجري في حقها الحكم الشرعي ، هذا مع أنه قياس واستحسان خاص بالعامة" (٥) .

١٥- أيضاً في الاحصار والصد للسيد الگلپايگاني : " فما عن الشهيد من احتمال وجوب القيمة على المُحِل في الحرم والدم على الحُرِم في الحل قياس في غير محله ، لعدم تصريحه عليه السلام به ، فينبغي الاقتصار فيه على النص في محل الانجبار كقاعدة لا ضرر ولا حرج اللتين لا يمكن التعدي منهما إلى زائد على ما أثبته الأصحاب " (٦)

١٦- وفي تقريرات الحدود والتعزيرات - تقرير بحث الگلپايگاني ، لمقدس : " ووجه تردد صاحب الشرائع أن التأديب كانجائزاً شرعاً فلا وجه لأن تكون عليه الدية " وفيه - كما في الجواهر - أن مجرد الإذن لا ينافي الضمان " وقياس هذا المورد على تأديب الحاكم للمجرم قياس مع الفارق " (٧) .

---

(١) مصباح الفقاهة - السيد الخوئي - ج ١ - ص ٧٥١ – ٧٥٢

(٢) مصباح الفقاهة - السيد الخوئي - ج ١ - ص ٧٦٤

(٣) مصباح الفقاهة - السيد الخوئي - ج ٣ - ص ٢٤

(٤) مصباح الفقاهة للسيد الخوئي - ج ٥ - ص

(٥)(٦) الاحصار والصد للسيد الگلپايگاني - ص ٩٩

(٧) تقريرات الحدود والتعزيرات - تقرير بحث الگلپايگاني ، لمقدس - ج ٢ - ص ٢٢١

وخلاصة القول أنه لو تنزلنا وقلنا بأن الاجتهاد المذموم على لسان الائمة هو القياس ليس الا فإننا قد وجدنا إن القوم مع إتهام بعضهم لبعض بالقياس قد أثبتوا أن إجتهادهم أيضا قياس لا يتعداه إلا في الادعاء . فلا يحق لقائل أن يقول إن إجتهاد فقهائنا لا علاقة له بالقياس لأن الحقائق وكلمات القوم تكذبه . وبذلك يظهر كذبهم في ما ادعوا من أنهم يجتهدون بحيث لا يكون القياس من ضمن أدواتهم ، فهم عاملون به وشهد شهود من أهلهم .

وكنا قد وعدنا في طيات كتابنا بوقفة مع أوائل من عمل بالقياس من الأصوليين المعروفين عندهم وهما ابن الجنيد وابن أبي عقيل العماني ، وهذه تصريحات بعض أعلامهم بذلك :

١- وفي مقدمة فوائد الأصول - الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني - ص ٧ – ٩ : " و قد صرح ابن النديم في " الفهرست " بان للشيباني من مؤلفاته الكثيرة تأليف يسمى بـ " أصول الفقه " وتأليف سماه " كتاب الاستحسان " وتأليف " كتاب اجتهاد الرأي " . على أن الشافعي ، بتصريح من ابن النديم ، لازم الشيباني سنة كاملة و استنسخ في المدة لنفسه من كتب الشيباني ما استحسن وقد أذعن الشافعي نفسه بذلك ، وأعلن فقال من غير نكير " كتبت من كتب الشيباني حمل بعير " . وكيف كان فان لم يحصل اليقين بتقدم القاضي والشيباني على الشافعي في التأليف ، فلا أقل من أن لا يحصل لنا يقين بتقدمه عليهما . فالحكم البات بكون الشافعي " أول من صنف في أصول الفقه " كما ترى . هذا بالنسبة إلى حدوث العلم والاستناد به على نحو الاطلاق ، أما بدء الاستناد به في خصوص مذهب التشيع فهو كما احتملناه وعللناه في التعليقة المزبورة لا يتقدم على الغيبة الكبرى (٣٢٩ هـ . ق) أول من انتحى إلى أصول الفقه واعتمد عليه في مقام الاستنباط و استمد منه الشيخ الثقة الجليل حسن بن علي بن أبي عقيل صاحب كتاب " المتمسك بحبل آل الرسول " في الفقه ، وهو أيضا " أول من هذب الفقه ، و استعمل النظر ، وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى " . ثم اقتفى اثر ابن أبي عقيل واستحسن آرائه أبو علي محمد بن أحمد بن جنيد الإسكافي الذي قال السيد الاجل بحر العلوم بعد عنوانه في ترجمته : " من أعيان الطائفة وأعاظم الفرقة وأفاضل قدماء الامامية . وأكثرهمعلماً وفقهاً وأدباً ، و أكثرهمتصنيفاً وأحسنهمتحريراً ، وأدقهم نظراً متكلم فقيه محدث أديب واسع العلم . صنف في الفقه والكلام والأصول والأدب وغيرها تبلغ مصنفاته ، عدا أجوبة مسائله ، من نحو خمسين كتابا منها كتاب " تهذيب الشيعة لاحكام الشريعة " كتاب كبير من نحو عشرين مجلدا يشتمل على جميع كتب الفقه ، وعدة كتبه تزيد على مائة وثلاثين كتابا ، وكتاب " المختصر الأحمدي في الفقه المحمدي " مختصر كتاب التهذيب وهو الذي وصل إلى المتأخرين ومنه انتشرت مذاهبه وأقواله . . " إلى أن قال السيد العلامة بعد تعديد كتبه وأجوبة مسائلة : " وهذا الشيخ على جلالته في الطائفة ورئاسته وعظم محله قد حكى القول عنه بالقياس ، ونقل ذلك عنه جماعة من أعاظم الأصحاب ، وعلى ذلك فقد أثنى عليه علماؤنا وبالغوا في إطرائه ومدحه وثنائه . . " كان هذا الشيخ الجليل شيخا وأستاذا للشيخ المفيد ومعاصرا للشيخ الكليني وتوفي ، على ما ذكره المحدث القمي (ره) (سنة ٣٨١ هـ . ق) في الري . ثم وصل دور البحث عن عوارض أدلة الاحكام إلى أبى عبد الله محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام الملقب بـ " المفيد " عند الاعلام ، المتولد (سنة ٣٣٦) والمتوفى (٤١٣ هـ . ق) فالشيخ المفيد تبع أستاذه ابن الجنيد وابن أبي عقيل في

الاعتماد على الأصول وان لم يتلق كل ما قاله ابن الجنيد بالقبول ، بل وكتب على رده ونقضه كما هو المنقول " (١) .

٢-وفي المعالم الجديدة للأصول للسيد محمد باقر الصدر: " وفي أواخر القرن الرابع يجئ الشيخ المفيد فيسير على نفس الخط ويهجم على الاجتهاد ، وهو يعبر بهذه الكلمة عن ذلك المبدأ الفقهي الآنف الذكر ويكتب كتابا في ذلك باسم " النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي " . ونجد المصطلح نفسه لدى السيد المرتضى في أوائل القرن الخامس إذ كتب في الذريعة يذم الاجتهاد ويقول : " إن الاجتهاد باطل ، وإن الامامية لا يجوز عندهم العمل بالظن ولا الرأي ولا الاجتهاد " وكتب في كتابه الفقهي " الانتصار "معرِّضاً" بابن الجنيد - قائلا " إنما عول ابن الجنيد في هذه المسألة على ضرب من الرأي والاجتهاد وخطأه ظاهر " (٢).

٣-وفي مناهج الوصول إلى علم الأصول للسيد الخميني : " الظاهر أن أول من اعتمد على علم الأصول في مقام الاستنباط واستند إليه الشيخ الجليل حسن بن علي بن أبي عقيل ، الذي هو من مشايخ جعفر ابن محمد بن قولويه صاحب كتاب " كامل الزيارات " وأحد مشايخ الشيخ المفيد - قدس سره - وهو أول من هذب الفقه ، واستعمل النظر ، وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى ، وله كتاب " المتمسك بحبل آل الرسول صلى الله عليه وآله " في الفقه . ثم اقتفى أثره ونهج منهجه ابن الجنيد المعروف بالإسكافي ، الذي هو - كما صرح به السيد بحر العلوم قدس سره - من أعيان الطائفة الإمامية ، وأعاظم الفرقة المحقة ، وأفاضل قدماء الإمامية ، وأكثرهم علما وفقها وأدبا وتصنيفا ، وأحسنهم تحريرا وأدقهم نظرا تبلغ مصنفاته نحو من خمسين كتابا ، منها كتاب " تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة " مشتمل على جميع مباحث الفقه ، وهو عشرون مجلدا " (٣) .

والمضحك في المسألة أنهم رغم قولهم بعدم حجية القياس في إجتهادهم وتصريحهم بأنكلاً من ابن الجنيد والعماني قد عملا بالقياس ، لكنهم لا يخفون إعجابهم بهما ويصفونهما بأفخم الاوصاف ، بحيث أن السيد بحر العلوم يعتبرهما من أعيان الطائفة الإمامية ، وأعاظم الفرقة المحقة ، وأفاضل قدماء الإمامية ، وأكثرهمعلماً وفقهاً وأدباً وتصنيفاً ، وأحسنهمتحريراً وأدقهم نظراً . فالعجب من هؤلاء القوم الذين أُشرب في قلوبهم حب بدع المخالفين وحب من يتبعها . في حين يذمون من التزم بطريقة المعصومين ويجعلونه أولى بالذم ممن انحرف عنهم .

---

(١)مقدمة فوائد الأصول - الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني - ج ١ - ٢ - ص ٧ – ٩

(٢) المعالم الجديدة للأصول - السيد محمد باقر الصدر - ص ٢٥ – ٢٦

(٣) مناهج الوصول إلى علم الأصول - السيد الخميني - ج ١ - ص ١٣

سابعاً : التأثر بالمدرسة الصوفية :

لقد بدى واضحاً تأثير التصوف والمتصوفة على فقهاء الشيعة في الفترة الاخيرة تحت مسمى العرفان والسلوك . وصارت تعقد حلقات للدرس في أروقة الحوزات الشيعية لدراسة كتب التصوف مثل فصوص الحكم والفتوحات المكية لابن عربي الناصبي ، الذي يُنَدِّبه شيعة أهل البيت بالقردة والخنازير، ويصرح بتقديم أبي بكر وعمر على امير المؤمنين عليه السلام . ومع ذلك نرى أن الكثير من فقهاء الشيعة يتهافتون على دراسة كتبه .

يقول المرجع الشيعي السيد كمال الحيدري في كتابه (مدخل الى مناهج المعرفة عند الاسلاميين) معدداً رواد المدرسة الصوفية التي يسميها العرفان : " لهذه المدرسة أتباع كثيرون في تاريخ الفكر الاسلامي منهم : بايزيد البسطامي ، الحلاج ، الشبلي ، الجنيد البغدادي ، ذو النون المصري ، المولوي الرومي ، وأمثالهم كثير . ولكن يعد الشيخ الأكبر محي الدين إبن العربي على رأس مدرسة العرفان النظري ، لأنه الذي إستطاع أن يجعل هذا اللون من المعرفة علماً مستقلاً له موضوع ومسائل ومباديء ، وبذلك إمتاز هذا الفرع من المعرفة عن باقي الفروع ، وكل من جاء بعده من العرفاء فإنه كان يدور في ذات الدائرة التي وضع أسسها هذا العارف المحقق " (١).

ومن كلام هذا الرجل يتضح مدى تأثره وأمثاله بالتصوف والمتصوفة بشكل كبير ، ويكفي أن تلاحظ كلمات الاعجاب والأطراء التي يكيلها لهؤلاء حتى تتصور حجم الأنجراف خلفهم .

وهنا نجد أنه من المناسب أن نتعرف الى شخصيات بعض من ذكرهم الحيدري وأعتبرهم روادا لهذه المدرسة لتتضح صورة الانحراف الذي صاروا إليه . وليكن الحلاج أحد هؤلاء الذين ينبغي التعرف الى مواقف الأئمة منهم .

يقول الشيخ الطوسي في معرض تعداده للمذمومين ممن إدعوا النيابة عن الامام المهدي زوراً : " ومنهم الحسين بن منصور الحلاج " : " أخبرنا الحسين بن إبراهيم ، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح ، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال : لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه ، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي (رض) ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته ، فوجه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الامر بفرط جهله ، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره ، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة ، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضا عندهم ، ويقول له في مراسلته إياه : إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام - وبهذاأولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره - وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك ، ولا ترتاب بهذا الامر . فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له : إني أسألك أمرا يسيرا يخف مثله

---

(١) مدخل الى مناهج المعرفة عند الاسلاميين ص ٢٣٨

عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين ، وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن ، ولي منهن عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهن [ويبغضني إليهن] وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة ، وأتحمل منه مشقة شديدة لاستر عنهن ذلك ، وإلا انكشف أمري عندهن ، فصار القرب بعدا والوصال هجرا ، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته ، وتجعل لحيتي سوداء ، فإني طوع يديك ، وصائر إليك ، وقائل بقولك ، وداع إلى مذهبك ، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة . فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه ، وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابا ، ولم يرسل إليه رسولا ، وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد ، وشهر أمره عند الصغير والكبير ، وكان هذا الفعل سببا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه "(١) .

وروى الشيخ الطوسي أيضا : " عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم ، وكاتب قرابة أبي الحسن يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضا ويقول : أنا رسول الامام ووكيله ، قال : فلما وقعت المكاتبة في يد أبي رضي الله عنه خرقها وقال لموصلها إليه : ما أفرغك للجهالات ؟ فقال له الرجل - وأظن أنه قال : أنه ابن عمته أو ابن عمه - فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته وضحكوا منه وهزؤا به ، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه . قال : فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا ، فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه ، فأقبل عليه وقال له : تسأل عني وأنا حاضر ؟ فقال له أبي : أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك ، فقال له : تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها ؟ فقال له أبي : فأنت الرجل إذا . ثم قال : يا غلام برجله وبقفاه ، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله ، ثم قال له : أتدعي المعجزات عليك لعنة الله ؟ أو كما قال فأخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم "(٢).

ومن الخبرين السابقين يتضح موضع الحلاج عند أصحابنا من شيعة أهل البيت . وفي خبر الاحتجاج يظهر ان الحلاج ملعون ومطرود من قبل الناحية المقدسة ، قال الشيخ الطبرسي : " روى أصحابنا : أن أبا محمد الحسن السريعي كان من أصحاب أبي الحسن علي ابن محمد عليهم السلام ، وهو أول من ادعىمقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان عليه السلام وكذب على الله وحججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء ، ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ، وكذلك كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن عليه السلام ، فلما توفي ادعى البابية لصاحب الزمان ، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والغلو والتناسخ ، وكان يدعي أنه رسول نبي أرسله علي بن محمد عليه السلام ، ويقول بالإباحة للمحارم ، وكان أيضا من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي ، وقد كان من قبل في

---

(١) الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٠١ - ٤٠٢

(٢) الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٠٢ - ٤٠٣

عدد أصحاب أبي محمد عليه السلام ، ثم تغير عما كان عليه وأنكر بابية أبي جعفر محمد بن عثمان ، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان وبالبراءة منه ، في جملة من لعن وتبرء منه ، وكذا كان أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، والحسين بن منصور الحلاج ،

ومحمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقري ، لعنهم الله ، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعا ، على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (ره) ونسخته :عَرِّف أطال الله بقاك !وعَرَّفك الله الخير كله وختم به عملك ، من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أدام الله سعادتهم : بأن (محمد بن علي المعروف بالشلمغاني) عجل الله له النقمة ولا أمهله ، قد ارتد عن الإسلام وفارقه ، وألحد في دين الله وادعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى ، وافترى كذبا وزورا ، وقال بهتانا وإثما عظيما ، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا ، وخسروا خسرانا مبينا . وأنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه ، ولعناه عليه لعاين الله تترى ، في الظاهر منا والباطن ، في السر والجهر ، وفي كل وقت وعلى كل حال ، وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منا فأقام على تولاه بعده . أعلمهم تولاك الله ! أننا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه ، من : (السريعي ، والنميري ، والهلالي ، والبلالي) وغيرهم . وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة ، وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل "(١) .

والحلاج هذا قد ادعى حلول الله فيه في تطبيق واضح لنظرية وحدة الوجود التي يقول بها فلاسفة الشيعة مثل الملا صدرا وغيره . فهو كثيرا ما كان يردد : لو رفعت ردائي لما وجدت غير الله ، ويقول : ليس في الدار غيره ديار ، وقوله : فرغت من نفسي وصرت في مقام أنا الحق ، وأمثال ذلك من كفرياته .

ومع ذلك فإنك تجد فقهاء الشيعة ممن يمارس التصوف والسلوك يتغنون بأشعار الحلاج الكفرية ويرددونها في منتدياتهم ويزينون بها مصنفاتهم . فالملا صدرا الشيرازي يستشهد بأبيات للحلاج كي يوضح المعنى الذي يريد أن يقوله : " وهذا لا ينافي الفناء الذي آدعوه فإنه إنما يحصل بترك الالتفات إلى الذات والاقبال بكلية الذات إلى الحق ، فلا يزال العالم في حجاب تعينه وأنيته عن إدراك الحق لا يرتفع ذلك الحجاب عنه بحيث لم يصرمانعاً عن الشهود ولم يبق له حكم وإن أمكن أن يرتفع تعينه عن نظر شهوده لكن يكون حكمهباقياً كما قال الحلاج :

بيني وبينك إني ينازعني * فارفع بلطفك إني من البين "(٢) .

ويعود فيستشهد بالبيتين في كتاب له آخر : "فلا يدرك أي العالم الحقإدراكاً يماثل إدراكه أي إدراك العالم نفسه فإن إدراكه نفسه إدراك ذوقي شهودي من غير حجاب وإدراك العالم إياه من وراء الحجاب فلا يزال العالم في حجاب أي في حجاب تعينه وإنيته عن إدراك الحق لا يرتفع ذلك الحجاب عنه بحيث لم يصرمانعاً عن الشهود ولم يبق له حكم فيه وإن أمكن أن يرتفع تعينه

---

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٢٨٩ – ٢٩٠

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة - صدر الدين محمد الشيرازي - ج ٢ - ص ١١٥ - ١١٦

عن نظر شهوده لكن يكون حكمهباقياً فيه ويكون بحسبه لا بحسب ما هو المشهود عليه فلا يرتفع الحجب بالكلية انتهى . وقول الحلاج : بيني وبينك إني ينازعني * فارفع بلطفك إني من البين يؤيد ما ذكرناه " (١).

ولم يكن الملا صدرا هو الوحيد في هذا الانجراف ، بل إن أغلب من ينتمون الى مدرسة العرفان الشيعي قد نحوا هذا المنحى ومنهم السيد الخميني ، الذي طالما تغنى بكلمات الحلاج الكفرية المنقولة عنه والتي يقول فيها : " أناالحق والحق للحق حقٌ لابس ذاته فما ثم فرق " .

السيد الخميني في أبيات شعرية صوفية نظمها يقول فيها :

" فارغ از خود شُدَم وكُوس «أنا الحق» بزدم همچو منصور خريدار سَرْدار شُد " .

ومن الذين شرحوا أبيات الخميني هذه ، وألبسوها ثوب الإسلام هومن يسمونه العارف الجوادي الآملي الذي يقول :

" نفهم كلمات الإمام الراحل (الخميني) وهو يشدو : لقد تحررت من ذاتي وأضحيت صرخة أنا الحق كما منصور (الحلاّج) الذي سعى بقدميه إلى الفداء . إنه يتمنى ذلك المقام وتلك المنزلة ".(٢)

وقد أصاب الآملي في ذلك ، فمن الواضح أن الخميني يتمنى ذلك المقام وتلك المنزلة الرفيعة للحلاّج صراحة ، كما تبين وهذا ما تمليه عليه عقيدته الحلاجية الصوفية فهو يجد من الحلاج مثاله الأعلى وقدوته في السير والسلوك .

والا فمن الأحرى به ذم هؤلاء الصوفية وتكفيرهم كما ذمهم أئمة العترة المطهرة وتبرئوا منهم لا أن يتمنى حتفهم ويقول بأقوالهم .

إن مقولة الحلاّج أنا الحق (أي هو الله) كفرٌ وإلحادٌ وزندقة عند جميع الفقهاء ، ولذلك حكموا على الحلاّج بالكفروالإلحاد والزندقة . وهاهو الخميني يصرّح بنفس كلام الحلاّج ويقول (أنا الحق) أي هو الله بل يتمنى أن يُعلَّق مثله على حبل المشنقة .

وكما هو المتوقع فإن الحواشي والاتباع يُزَوِّقون هذا الكلام ويجعلونه من المراتب الراقية في القرب من الله ، يقول العارف إبراهيم الأنصاري في شرح هذا البيت :

" يقول الإمام (الخميني) قدِّس سرُّه (إنِّي قد غفلت عن نفسي) وهذه مرتبة راقية جدّاً لا يصل إليها إلاّ الأوحدي والمقصود من كلامه هو أنَّني قد انفصلت عن كلِّ شيءٍ يرجع إلى شخصيتي الموهومة ، وتباعدت عن كلِّ أمر يمسُّ أنا والأنانيَّةُ رأس كلِّ خطيئة حيث أنَّها تبعدُ الإنسان عن الله ، وتغمسُه في متاهات الدنياذ وآثارها الدنيَّة وزخرفها وزبرجها ، فبمقدار إبتعاد الإنسان عن الجانب السفليِّ من نفسه ، سوف يتقرَّب إلى الجانب العلويِّ منه ، وهذا يعني تقرُّبه إلى الحقّ المطلق وهو الله سبحانه وتعالى ، فحينئذٍ يرى نفسَه مظهراً تاماً من مظاهر الحق وآية من آياته جلَّ وعلا ، فينادي أنا الحق ، ولكن عندما يرجع إلى هويَّته ، يرى أنَّ هذا النداء والصراخ لم يكن في محلِّه لأنَّه لا زال فقيراً ولا زال ناقصاً فماذا يطلب بعد ذلك ؟

---

(١) المبدأ والمعاد - صدر الدين محمد الشيرازي - ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٢) الإمام الخميني ثورة العشق الإلهي، الجوادي الآملي، ص١٤٠ . عن طريق الشبكة العنكبوتية .

يقول إمامنا (الخميني)قدّس سرّه: (همجو منصور خريدار سر دار شدم)فحينئذٍ تمنّيت الموت كما تمنّي ذلك منصور الحلاج ، وكنت من المشترين الطالبين للمشنقة لأنّه رأيت مادام أنّني محبوس في هذا البدن المادّي فمن المستحيل أن أصلَإلى اللقاء الإلهي وأستقرّ تحت ولايته إلاّ أن أموت "(١) .

وحقيقة إن المؤمن الواعي ليقف حائراً يبحث عن سبب مقنع لتمني الخميني لميتة الحلاج ، الذي أقل ما يقال عنه أنه مات ميتة جاهلية .

لكنه الابتعاد عن نهج العترة والشرب من مياه التصوف الآسنة . فمهما تم تجميل الصورة وحاولوا ترجمة النص بما يدفع الشبهة عنه ، فلن يستطيعوا إخفاء عشقه للحلاج وإعجابه به . فرغم أن الإمام الحجة عليه السلام لعنه وتبرأ منه في توقيع صادرٌ عنه عليه السلام، وكذلك لعنه وتبرأ منه السفير الثالث الحسين بن روح رضوان الله تعالى عليه ، ثم سار علماؤنا الأبرار على هذا النهج ، واستمر الخلف على سيرة السلف في ذمه ولعنه والبراءة منه . ولكن العرفاء والمتصوّفة لخبثهم وضلالهم وإنحرافهم عن الصراط المستقيم ، وقفوا على النقيض تماماً من موقف الأئمة الأطهار عليهم السلام وعلمائنا الأبرار في تقييم شخصية الحلاّج لعنه الله .

ولاعجب من ذلك ، إذا عرفنا ولع عرفاء الشيعة بصوفية المخالفين أمثال الغزالي والسهروردي وإبن عربي . وهؤلاء يمجدون الحلاج ويرفعون من شأنه .

يقول الدكتور طراد حمادة : " إن حسن ظن الإمام (الخميني)بالحلاّج يتوافق مع موقف الإمام الغزالي ، لكنه يتجاوزه إلى ما هو أبعد في سلوك " فيسميه (العاشق للفناء في المحبوب الإلهي)" (٢) .

ولكي نعرف بواعث دفاع الخميني عن الحلاّج وإعجابه به ، يجب أن نعرف ماذا قال الغزالي دفاعاً عن احلاج ، لأنه (أي الخميني) يتفق معه بل يتجاوزه بمراحل كما صرّح بذلك الدكتور طراد حمادة .

يقول ابن خلكان : " ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله – يعني الحلاج - وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله أنا الحق وقوله ما في الجبة إلا الله وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها وحملها كلها على محامل حسنة وأولها وقال هذا من فرط المحبة وشدة الوجد " (٣) .

ويقول الغزالي في معرض دفاعه عن الحلاّج : " العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة إتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ،لكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً علمياً ومنهم من صار له ذلك حالاً ذوقياً ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكرِ غير الله ولا لذكِر أنفسهم أيضاً ، فلم يكن عندهم إلا الله ،فسكروا سكراً دفع دونه سلطان عقولهم فقال أحدهم :

---

(١) دولة المهدي المنتظر، إبراهيم الأنصاري، ص١٥٠- ١٥١ . عن طريق الشبكة العنكبوتية .

(٢) أسرار الحكمة والعرفان في شعر الإمام الخميني الدكتور طراد حمادة . ص ١٠٩

(٣) وفيات الأعيان ، ابن خلكان، ج٢ ص ١٤٠-١٤١ ، حياة الحيوان الكبري، الدميري، ج١ ص٢٤٥ ، الوافي بالوفيات - الصفدي - ج ١٣ - ص ٤٦

أنا الحق وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني ، وقال آخر : ما في الجبة إلا الله ، وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى ،فلما خفّ عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه ، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط عشقه (أنا من أهوى ومن أهوى أنا)" (١).

هذا هو رأي الغزالي بالحلاج .والغزالي هذا واحد من عرّابي التصوف الذين يهيم بهم الملا صدرا والخميني والحيدري والسيد القاضي والسيد الطباطبائي وأمثالهم . حيث تجدهم لا يذكرون أي واحد من هؤلاء إلا ويقدمونه بأعظم الأوصاف ويلقبونه بأفخم الألقاب ، مثل الشيخ الأكبر والعارف الكامل ، ولا ينفكون عن الترضي عنه أينما ذكروه .

مثلا : يقول السيد جلال الدين الاشتياني تلميذ الخميني وشارح كتبه ، في شرح مصباح الهداية ص ١٨٤ : وقال الشيخ الاكبر رضي الله عنه في الفتوحات ، ويقصد بالشيخ الاكبر محي الدين إبن عربي . وقال أيضا في هامش الصفحة ٢٣٠ من نفس الكتاب : " وقد عد الشيخ الأكبر نفسه من الأقطاب في الفصوص وكان قد إعتبر نفسه من الأفراد في الكثير من آثاره ويطلق "الافراد" على الكاملين من الناس الذين ليسوا محكومين بحكم الأقطاب .ونادراً ما يتفق أن يصل شخص من بين الأفراد تام الاستعداد بواسطة إستعداد خفي في عينه الثابت الى الأقطاب . لذلك فإن العبارات المذكورة في هذا الموضع من الفتوحات لا تتنافى مع ما كان قد قاله في فصوص الحكم " .

أما السيد الخميني فأنه لا ينفك يذكر إبن عربي وتلميذه القونوي في كتابه مصابيح الهداية مبجلاً ومفخماً لهما بكل ما أوتي من قدرة ، فالشيخ الاكبر والعارف الكامل ألقاب لا يتركها إذا ذكرهما مترضياً عنهما . فهل بعد ذلك هناك إختراق أكبر من هذا ؟

من هو محي الدين ابن عربي ؟

من المستغرب أن نرى الكثير من علماء الامامية وخصوصاً المهتمين بالسلوك والعرفان منهم يكثرون من ذكر محي الدين ابن عربي ويثنون عليه بأعظم عبارات الثناء ويلقبونه (بالشيخ الاكبر)ويأخذون برأيه أخذ التلميذ عن شيخه وأستاذه ، ويمكن للمتتبع أن يرى ذلك واضحاً في كتب السيد الخميني والسيد كمال الحيدري وقبلهم صدر الدين الشيرازي ، فمن هو ابن عربي هذا ؟؟

---

(١) الحلاّج في ما وراء المعنى والخط واللون، سامي مكارم، ص ٩٠ .

وبصورة مختصرة نقول إن ابن عربي من أصحاب الطرق الصوفية المتميزة برونق نظريتها التي جذبت اليها الكثير من علماء الشيعة ، الذين وجودوا في هذا الرجل ظالتهم بما يملكه من قدرته التنظيرية ، وسبك عبارته وقدرته العالية في وضع المبادىء الاولى للعرفان النظري ، ولكنهم ازاء ذلك انساقوا الى الكثير من الضلالات التي يؤمن بها ابن عربي هذا ، مثل إيمانه بوحدة الوجود ، مما جعل صدر المتالهين يتبى هذه النظرية لشدة ولعه بابن عربي ، ولكن ليعلم الاخوة شيئا عن ابن عربي ، نعرض هذه الامور وبإمكانهم التأكد من صحتها بالرجوع الى مؤلفاته ومؤلفات من ذكرنا من الاعلام :

١-ابن عربي رجل من الاندلس مالكي المذهب هاجر الى الشام وسكن فيها فهو مخالف لمذهب اهل البيت (عليهم السلام) . يرى أن عمر محدّث وأن النبي الاكرم وأبا بكر خلقا من طينة واحدة .

٢- وكذلك فإن ابن عربي يرى ضلالة الشيعة عموماً والامامية منهم بالخصوص ، أنظر الى ما يقوله في ج ١ ص ٢٨٢ من كتابه الفتوحات المكية ، وهو كتاب أغرم به علماء الشيعة أيما غرام ، يقول هناك : (فان الشياطين ألقت اليهمعِلَلاً صحيحاً لايشكون فيه ، ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا ، فينسب ذلك الى الشيطان بحكم الاصل ، ولو علموا أن الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه واكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما الامامية منهم ....)ولو اطلعت على ما في فتوحاته لوليت منه فراراً .

٣-وقد صرح في ج٢ ص ٨ من فتوحاته بأنه يرى الروافض من الشيعة خنازير .

٤- يدعي انه رأى الله في منامه مراراً كما ورد في ج١ص٣٣٤ من فتوحاته : (إني رأيت الحق في النوم مرتين وهو يقول لي إنصح عبادي) فهو يستمد علمه لا من فم الرسول الذي ظهر له ولا من االملائكة فحسب بل من كلام اللهمباشرة الذي حظي به تكراراً فقد إدعى ابن عربي لنفسه مقامات الانبياء وأوصياءهم وغير ذلك في كتبه .

٥-كثيراً ما نسب ابن عربي هذا فضائل أهل البيت الى غيرهم ليرفع من قيمتهم كما ورد عنه في فتوحاته ج٣ ص ١١٦: (قول أبي بكر ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله) وهذه الكلمة جزء من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) كمانه كثيراً ما أقر المبتدعين على بدعهم حتى وإن خالفت صريح سنة رسول الله (ص) كما ورد عنه في تاييد بدعة عثمان في تقديم الخطبة على صلاة العيدين كما في ج١ ص ٥١٨ من فتوحاته .

٦- كما إن ابن عربي لا يؤمن بائمة اهل البيت ولا بعصمتهم ، وهذا واضح من كلامه الذي صرح به في الفتوحات المكية - ج ٣ - ص ٣٣٧ – ٣٣٨ حيث قال : "كما أنه ما نص رسول الله ص على إمام من أئمة الدين يكون بعده يرثه ويقفو أثره لا يخطيء إلا المهدي خاصة " . فهل لقائل أن يقول بأن ابن عربي شيعي بعد هذا الكلام ؟

٧- وهذه هي حقيقة عقيدة ابن عربي الذي يصحح ما يقوله ائمة المذاهب الاربعة والبخاري وامثالهم حيث يقول في كتابه الفتوحات المكية ج ٢ - ص ٢٥٢ – ٢٥٣ : " ولهذا قال ص إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، وما انقطعت إلا من وجه خاص ، إنقطع منها مسمى النبي والرسول ، ولذلك قال فلا رسول بعدي ولا نبي ، ثم أبقى منها المبشرات وأبقى منها حكم المجتهدين ، وأزال عنهم الاسم ، أبقى الحكم وأمر من لا علم له بالحكم الإلهي أن يسأل أهل الذكر فيفتونه بما أداه إليه اجتهادهم ، وإن اختلفوا كما اختلفت الشرائع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، وكذلك لكل مجتهد جعل له شرعة مندليلاً ومنهاجاً وهو عين دليله في إثبات

الحكم ويحرم عليه العدول عنه ، وقرر الشرع الإلهي ذلك كله ، فحرم الشافعي عين ما أحله الحنفي وأجاز أبو حنيفة عين ما منعه أحمد بن حنبل ، فأجاز هذا ما لم يجز هذا ، فاتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء ، وكل في هذه الأمة شرع مقرر لنا من عند الله مع علمنا إن مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله ، فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها ما نسخت ، وإنما انقطع الوحي الخاص بالرسول والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه وتحجير لفظ اسم النبي والرسول فلا يقال في المجتهد إنه نبي ولا رسول كما حجر الاجتهاد على الأنبياء فيما شرعه والمجتهد وإن كان يرشد الناس بما أداه إليه دليله واجتهاده فلا يطلق عليه هذا الاسم ، فهو لفظ خاص بالأنبياء والرسل ما هو لله ولا للأولياء بل هو اسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد وعدم مزاحمة السيد في رتبته ، بخلاف الولاية فإن العبد مزاحم له في اسم الولي تعالى ولهذا شق على المستخلصين من العبيد انقطاع اسم النبي واسم الرسول لما كان من خصائصها ولم يكن له في الأسماء الإلهية عين وإذا كانت النبوةنعتاً إلهياً في أحكامها ومنها أوجب الحق على نفسه ما أوجب ، لأن الوجوب للشرع ما هو لغير الشرع ، فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة ، هذا من حكم الشرع فاعلم ذلك وتثبت في معرفة ما ذكرناه فإنه سهل المرتقى صعب النزول عنه ، هكذا رأيته في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب ، فما تكلمنا في هذا الباب بما تكلمنا به إلا بما شاهدناه في الواقعة ، ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقا على يميني والمعراج بإدراجه منه إلى الطريق الشارع الذي يمشي الناس عليه ، وأنا عند الباب واقف وليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد ، إلا ما في داخل ذلك المغلق الموثق الغلق ومع غلقه ما ينحجب عني ما وراءه إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف ، ولقد طلع إلى شخص فلما وصل بسهولة ورآه توعر عليه النزول وحار ولم يقدر على الثبات فيه فتركني وسلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع ، وراح وتركنيراجعاً واستيقظت على هذه الحالة فقيدت ما أودعته في هذا الباب ، ورأيت في هذه الليلة رسول الله ص وهو يكره إدخال الجنازة في المسجد ، ويكره أيضا أن يستر الميت من الذكران بثوب زائد على كفنه ، وأمر أن يسلب عنه ويترك على نعشه في كفنه وأن لا يستر في تابوت أصلا ، وأمرني إذا كان البرد أن أسخن الماء للغسل من الجنابة ، ولا أصبح على جنابة ، ورأيته يشكر على الجماع ويستحسن ذلك من فاعله ، هذا كله رأيته في هذه الليلة ورأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة وذكرت له أن رسول الله ص أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة فقال لي هكذا ذكر البخاري أنه رأى النبي ص في النوم فأمره بذلك ورأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك ورآني الفربري في النوم وعلمت أنه رآني في النوم ورأيته أنا في نومه فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا فعلمته أنا من قول الفربري وثبت عندي ، وها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل به واستيقظت فأمرت أهلي أن يسخنو إلى ماء واغتسلت مع الفجر وهذه كلها من المبشرات " .

بربكم أليس هذا الهذيان من المخزيات المضحكات ؟؟ ثم يسمونه الولي العارف والشيخ الاكبر . نكتفي بهذا القدر اليسير ونقول هنيئا لعلماءنا على هذا الشيخ الاكبر و(من لم يكن له شيخ مثل ابن عربي فشيخه الشيطان) أعاذنا الله من ابن عربي ومن شيخه ومن تلاميذه ، فمن لم يأخذ من أهل بيت الرحمة فما عنده من خير بلداً .

موقف أهل البيت من التصوف:

أحاديث العترة عليهم السلام في تحريم الفلسفة والتصوف (١) :
الأوّل :ما رواه الشيخ الأجل الملاّ أحمد الأردبيلي قدس الله روحه في كتاب حديقة الشّيعة قال:نقل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النُّعمان رضي الله عنه عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب أنّه قال:كنت مع[الإمام]الهادي علي بن محمد عليه السّلام في مسجد النبي صلّى اله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عنده عليه السّلام ثمّ دخل المسجد جماعة من الصُّوفيّة وجلسوا في ناحية مستديرة وأخذوا بالتّهليل فقال عليه السّلام لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنهم خلفاء الشّيطان ومخرّبوا قواعد الدّين يتزهدون لراحة الأجساد ويتهجدون لصيد الأنعام يتجوّعون عمراً حتّى يديخوا للأيكاف حمراً لا يهللون إلاّ لغرور النّاس ولا يقللون الغذاء إلاّ لملاء العساس واختلاس قلوب الدّفناس،يكلّمون النّاس بإملائهم في الحبّ ويطرحونهم بإذلالهم في الجبّ ، أورادهم الرّقص والتصدية-أي التصفيق-وأذكارهم الترنُّم والتغنية فلا يتّبعهم إلاّ السُّفهاء !ولا يعتقدهم إلاّ الحمقى فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيّاً وميّتاً فكأنّما ذهب إلى زيارة الشّيطان وعبادة الأوثان ومن أعان أحداً منهم فكأنّما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان .

فقال له رجل من أصحابه وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟ قال فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع ذا عنك من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا أما تدري أخسُّ طوايف الصّوفية والصّوفيّة كلهم مخالفونا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلاّ نصارى أو مجوس هذه الأمّة أولئك الذّين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون .

الثّاني :ما رواه أيضاً في كتاب حديقة الشيعة عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي ومحمد بن إسماعيل بن يزيع عن الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه قال : من ذكر عنده الصوفيّة ولم ينكره بلسانه أو قلبه فليس منّا ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكُّفار بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الثّالث :ما رواه أيضاً في الكتاب المذكور بإسناده قال :قال رجل للصّادق عليه السّلام قد خرج في هذا الزّمان قوم يقال لهم الصُّوفيّة فما تقول فيهم ؟

فقال عليه السّلام :إنّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويُحشر معهم وسيكون أقوام يدّعون حبّنا ويميلون إليهم ويتشبّهون بهم ويلقبُّون أنفسهم بلقبهم ويأولون أقوالهم فمن مال إليهم فليس منّا وأنا منه براء ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار مع رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الرّابع :ما رواه علي بن الحسين بن بابويه القمى في قرب الإسناد الذي صنفه عن سعد بن عبدالله عن محمد بن عبد الجبّار عن الإمام العسكري عليه السّلام أنّه قال سُئل الصّادق عليه السّلام عن حال أبي هاشم الكوفي الصوفي فقال:إنّه فاسد العقيدة جداً وهو الذي ابتدع مذهباً

---

(١) حديقة الشيعة للأردبيلي ص٥٣٦ . الرسالة الاثنى عشرية في الرد على الصوفية للحر العاملي ص٢٨

يقال له التّصوّف وجعله مفراً لعقيدته الخبيثة.

الخامس :ما رواه أيضاً الشيخ أحمد الأردبيلي في حديقة الشّيعة قال:نقل السيد مرتضى عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه عن سعد بن عبدالله عن محمد بن عبد الجبّار عن الإمام العسكري عليه السّلام أنّه كلّم أبا هاشم الجعفري فقال :

يا أبا هاشم سيأتي على النّاس زمان وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة منكدرة السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة المؤمن بينهم محقّر والفاسق بينهم موقّر،امرأوهم جاهلون جائرون وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء كل جاهل عندهم خبير وكل محيل عندهم فقير لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولايعرفون الضأن من الذئاب علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتّصوف وايم الله أنهم من أهل العدول والتحرف يبالغون في حب مخالفينا ويضلّون شيعتنا وموالينا وإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الرّيا لأنهم قطّاع طريق المؤمنين والدّعاة إلى نحلة الملحدين فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه ثمّ قال :

يا أبا هاشم بهذا حدّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليهما السّلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلاّ عن أهله.

غلو عرفاء الشيعة بأبن عربي

وهذه نماذج ونصوص تُشير بمجملها الى الأختراق الصوفي للعرفاء بعد زمن غيبة أمامنا الحجة بن الحسن (عج) وسلب مقامات أئمتنا النورانية وأعطائها لناصبي (بتري) كأبن عربي (الصوفي الملحد) ؟!!!

١- أمرني الحق تعالى بشرح فصوص الحكم الذي هو منسوب الى رسول الله (ص) وأعطاه للشيخ الأعظم محي الدين بن عربي في النوم وقال له : أوصله الى عباد الله (١) .

٢- كان النبي (ص) له كتابان النازل عليه والصادرمنه ، أما النازل عليه (فالقران) والصادر منه (فصوص الحكم) (٢) .

٣ - إن كتاب (الفتوحات) ليس فيه كلمه باطل قط ، لانه لم تُمحى منه كلمةٌ واحدة بماء المطر بعد ان نَشر أبن عربي أوراقة على سطح الكعبة سنة كامله (٣) .

٤ - إن احداً من الرعية لم يبلغ مابلغه ابن عربي في المعارف العرفانية والحقائق النفسانية بعد مقام العصمة والأمامة (٤) .

٥ - فصوص الحكم تنزيل فأن ماتلقاه إبن عربي سرُ أهل المعرفة من الكمل ..... وهو من أُعطيات رسول الله (ص) ومنحه وهي بعينها عطيات الله تعالى (٥) .

---

(١) حيدر الأملي ، جامع الأسرار ص ٦٩

(٢) حيدر الأملي ، تفسير المحيط الاعظم ج١ ص٢٢

(٣) السيد القاضي ، الروح المجرد، ص: ٣٤١.

(٤) السيد القاضي ، الكتاب التذكاري ، ص ٤١.

(٥) السيد الخميني ، تعليقة شرح الفصوص ص ٤٩

٦- لم يستطع احد في الاسلام أن يأتي بسطر واحد مما كتبه ابن عربي (٦).

٧ - أعظم عرفاء الاسلام ، فلم يصل أحد الى ما وصل اليه ، لامن قبله ولامن بعده .....إنه من عجائب الدهر ، إنسان محير مدهش وكتابه (فصوص الحكم) لايظهر في كل عصر أكثر من أثنين او ثلاثه ، ممن يمكنهم أن يفهموه (٧) .

٨- لايرقى اليه احد من بين معاريف أهل العرفان ، ولا له نظير منذ عصره حتى الان .... وكل ماكتبه الاخرون نظماً ونثراً قديماً وحديثاً يعد بضعة نسبة الى بحر بن عربي الموّاج (٨) .

وبعد كل ذلك لا نجد انجرافاً وتأثرا بهؤلاء المتصوفة من العامة أكثر وأوضح من هذا الانجراف الذي يصل حد العشق والتغزل بهؤلاء ومقولاتهم الباطلة . وما ذلك الا بسبب ترك منهج العترة الواضح البيِّن ، وصدق مولانا الرضا حيث قال : " يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه ، إن أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يقول للحصاة هذه نواه ثم يدين بذلك ويبرء ممن خالفه ، يا بن أبي محمود أحفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة "(٩) .

---

(٦) العلامه الطباطبائي ، شرح المنظومة ج١ ص ٢٣٥

(٧) مرتضى مطهرى ، العرفان ، ص ٧٤

(٨) جوادي املي ، رسالة القران ، ص ١٠٧.

(٩)عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٧٢ .

ثامنا : الفلسفة والكلام عند الشيعة :

لقد إنساق فقهاء الشيعة ومفكريهم بعد الغيبة الصغرى وراء لمعان المدارس الفلسفية والكلامية وسارعوا الى التأليف فيها وطرح مناهجهم ونظرياتهم الفلسفية والكلامية ، وسرعان ما انخرطوا في فوضى الاراء والمساجلات العقدية المختلفة التي تلوكها هذه العلوم إن صح لنا تسميتها بالعلوم .

١- فكتبوا في الصفات الالهية وصنفوا هذه الصفات الى قسمين : صفات إيجابية ثبوتية ، وسلبية تقديسية ، وقسموا الايجابية الى قسمين أيضا : صفات ذاتية ، وصفات فعلية . (١)

وقد عرّفوا الصفات السلبية بأنها : هي سلب النقائص والأعدام عن الذات الالهية ، فهي نعوت لا عينية فيها ولا إضافة ولا ذات ولا فعل ، بل هي أمور عدمية ليس الواجب تعالى مصداقا لها (٢) .

وفي الحقيقة فإن مثل هذا القسم من الصفات ليس له وجود بل هو حشو وتطويل اختصرته كلمات الأئمة الأطهار في تقسيم صفاته تعالى الى صفات الذات وصفات الفعل ، فعن محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن الحسين ابن سعيد الأهوازي ، عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : لم يزل الله مريدا ؟ قال : إن المريد لا يكون إلا لمراد معه ، لم يزل [الله] عالما قادرا ثم أراد . (٣)

بلحاظ ان الرواية فرقت بين صفات الذات – لم يزل عالما قادرا – وبين صفات الافعال – ان المريد لا يكون الا لمراد - .

٢-ومن الشطحات التي وقع فيها هؤلاء نتيجة تأثرهم بفلسفة الاخرين وإعراضهم عن حديث العترة هو ما ورد عن صدر المتألهين فيما نقله عنه السيد الخوئي من القول بجسمية الله : (والعجب من صدر المتألهين حيث ذهب الى هذا القول في شرحه على الكافي وقال في ما ملخصه : أنه لا مانع من الالتزام أنه سبحانه جسم إلهي ، فإن للجسم اقساما فمنها : جسم مادي وهو كالاجسام الخارجية المشتملة على المادة لا محالة ، ومنه جسم مثالي وهو الصورة الحاصلة للانسان من الأجسام الخارجية ..... الى أن يقول : ومنها جسم إلهي وهو فوق الاجسام بأقسامها .... ولقد صرح بأن المقسم لهذه الاقسام الاربعة هو الجسم الذي له أبعاد ثلاثة ، من العمق والطول والعرض ، وليت شعري إن ما فيه هذه الابعاد وكان عمقه غير طوله وهما غير عرضه ، كيف لا يشتمل على مادة ولا يكون متركبا حتى يكون هو الواجب سبحانه ؟) (٤)

وغاية ما إستطاع الدفاع به عن الملا صدرا في قوله ذاك احد المعجبين بفكره والمجترين لمقولاته ، اعني به السيد كمال الحيدري ، انه قال : (أفترض انه مثل الملا صدرا متخصص ولا شك أنه من أكابر المتخصصين فماذا لو صار بناؤه على أن الله جسم ؟ ...) (٥)

---

(١) محاضرات في العقيدة الاسلامية - احمد كاظم البهادلي – ج٢ ص ٣٩٠ .

(٢) محاضرات في العقيدة الاسلامية - احمد كاظم البهادلي – ج٢ ص ٣٩٠ .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠٩ .

(٤) شرح العروة الوثقى – الخوئي – الطهارة ج٣ ص ٧٢ . سبيل المؤمنين – عبد الرحمن العقيلي ص ٣٣٦ .

(٥) سبيل المؤمنين – عبد الرحمن العقيلي – ص ٣٣٦ .

ولعمري فقد إنبلج الصبح لكل ذي عينين ان الله يجل عن الجسمية بصريح كلمات ألائمة الاطهار .

فعن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن علي بن أبي حمزة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم ، صمدي نوري ، معرفته ضرورة ، يمن بها على من يشاء من خلقه ، فقال عليه السلام : سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا تدركه [الابصار ولا] الحواس ولا يحيط به شئ ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد (١) .

وعن محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن حمزة بن محمد قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب : سبحان من ليس كمثله شئ لا جسم ولا صورة (٢) .

٣- ومن الزلات التي وقع فيها الملا صدرا ومن سار على خطاه هو قوله بوحدة الوجود حيث قال في حكمته المتعالية :

أنظر أيها السالك طريق الحق ما ذا ترى من الوحدة والكثرة جمعا وفرادى فان كنت ترى جهة الوحدة فقط فأنت مع الحق وحده لارتفاع الكثرة اللازمة عن الخلق وان كنت ترى الكثرة فقط فأنت مع الخلق وحده وان كنت ترى الوحدة في الكثرة محتجبه والكثرة في الوحدة مستهلكه فقد جمعت بين الكمالين وفزت بمقام الحسنيين (٣) .

وهو إنما قال بذلك تأثرا بمعشوقه إبن عربي الذي صرح بها في فصوصه ، بل إن الملا لم يكلف نفسه عناء تغيير العبارة بل نقلها بعينها :

أنظر أيها السالك طريق الحق ما ذا ترى من الوحدة والكثرة جمعا وفرادى ، فإن كنت ترى الوحدة فقط ، فأنت مع الحق وحده لارتفاع الإثنينية ، وإن كنت ترى الكثرة فقط ، فأنت مع الخلق وحده ، وإن كنت ترى الوحدة في الكثرة محتجبة والكثرة في الوحدة مستهلكة ، فقد جمعت بين الكمالين وفزت بمقام الحسنيين (٤) .

ومقتضى هذه النظرية ان حقيقة الوجود واحدة عند الله وعند خلقه . وهذه المقولة صرح بها الصوفية ومن قبلهم الحلاج الملعون كما بيننا سابقا .

إن الوجود هو خلق من خلق الله به أوجد كل الموجودات . وهو غير الله ، فكيف يحتاج الى الوجودَ من يفيض الوجودَ على الموجودات ؟؟؟ والآيات المحكمات والروايات البينات متعاضدة في أن الله هو خالق كل شيء وأنه بديع السموات والارض وأنه أوجد الاشياء لا من شيء .

فالخلق هو فعل الله ، بينما يريد الفلاسفة ان يقولوا أن الخلق هو ذات الله وفعله وقد تبين لنا أن صفات الذات غير صفات الفعل .

فعن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام ، أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر ، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله ، الفعل ، لا غير ذلك يقول له : كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك ، كما أنه لا كيف

---

(١)(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠٤ .

(٣) الحكمة المتعالية - صدر الدين محمد الشيرازي - ج ٧ - ص ٣٦٧

(٤) شرح فصوص الحكم - محمد داوود قيصري رومي - ص ٥٦٠ .

له (١) .
وعن محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن الحسين ابن سعيد الأهوازي ، عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : لم يزل الله مريدا ؟ قال : إن المريد لا يكون إلا لمراد معه ، لم يزل [الله] عالما قادرا ثم أراد (٢) .

وخلطهم بين وجود الخالق ووجود المخلوق هو سرّ ضعف كل دليل أقاموه على إثبات وحدة الخالق في الفلسفة والفكرة البشرية، ومن هناك أيضا اضطر كثير من الباحثين إلى الإقرار بغموض الأدلة العقلية التي أقيمت على إثبات توحيد الباري، فإنه ليس ذلك إلا من حيث أنهم يرومون إثبات ما لا يمكن ثبوتاً وبالذات، ولكنك ترى بالتفرقة بين الواحد الاعتباري المقداري والواحد الحقيقي المتعالي عن المقدار، أن الطريق إلى إثبات توحيده تعالى يصبح سهلاً واضحا بل أسهل كل شيء.
وإن تعجب فاعجب منهم حيث يجعلون مسألة إثبات وحدة الخالق وردّ الشبهة الموهونة المعروفة لابن كمونة ، حيث ينسب إلى ابن كمونه أنه قال : لم لا يجوز أن يكون هناك ماهيتان بسيطتان مجهولتا الكنه، متبائنتان بتمام الذات ، من الصعوبة بدرجة يقولون: إنه لو ظهر مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، لا نطلب منه معجزة سوى حل هذه المعضلة!!
كما قال المحقق الخوانساري صاحب مشارق الشموس الملقب بالعقل الحادي عشر .

وأعجب من ذلك وأغرب، هو حل تلك الشبهة على مبان أوهن من أصل الشبهة ـ كالقول بصرافة الوجود وأصالته ، وادعاء الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة كما قال بذلك الملا صدرا ، ونفي وجود الغير مطلقا، وكون بسيط الحقيقة كل الأشياء، وأمثال ذلك ـ مما يكون صريحا في الالتزام بالتركب والتعدد الحقيقي لذات المعبود كنتيجة لوحدة الوجود ، وتحريف معنى وحدة الخالق تعالى من الوحدة الحقيقية إلى الوحدة الاعتبارية.
توضيح ذلك: إن مما استدل به أصحاب الفلسفة لإثبات وحدة واجبهم هو قولهم : لو كان هناك واجب وجود آخر لتشارك الواجبان في كونهما واجبي الوجود، فلا بد من تميز أحدهما عن الآخر بشيء وراء ذلك الأمر المشترك. وذلك يستلزم تركب كل منهما من شيئين: أحدهما يرجع إلى ما به الاشتراك، والآخر إلى ما به الامتياز، وقد عرفت أن واجب الوجود بالذات بسيط ليس مركبا لا من الأجزاء العقلية ولا الخارجي .

ويقال في هذا المعنى أيضا:
لو تعدد الواجب بالذات، كأن يفرض واجبان بالذات وكان وجوب الوجود مشتركا بينهما وكان تميزهما بأمر وراء المعنى المشترك بينهما فإن كان داخلا في الذات لزم التركب وهو ينافي الوجوب..
وقد أشار الملا صدرا لهذه الشبهة في حكمته حيث قال مبينا أن حقيقة الواجب تعالى هو الوجود البحت القائم بذاته : (وليعلم ان البراهين الدالة على هذا المطلب الذي هو من أصول المباحث الإلهية كثيره لكن تتميم جميعها مما يتوقف على أن حقيقة الواجب تعالى هو الوجود البحت القائم بذاته المعبر عنه بالوجود المتأكد وان ما يعرضه الوجوب أو الوجود فهو في حد نفسه مع قطع النظر عن ارتباطه وتعلقه بغيره ممكن ووجوبه كوجوده يستفاد من الغير وهذه المقدمة مما

---
(١)(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠٩ - ١١٠

ينساق إليها البرهان ويصرح بها في كتب أهل العلم والعرفان وقد أسلفناه القول فيها وبها يندفع ما تشوشت به طبائع الأكثرين وتبلدت أذهانهم مما ينسب إلى ابن كمونة وقد سماه بعضهم بافتخار الشياطين لاشتهاره بابداء هذه الشبهة العويصة والعقدة العسيرة الحل فاني قد وجدت هذه الشبهة في كلام غيره ممن تقدمه زمانا وهي انه لم لا يجوز ان يكون هناك هويتان بسيطتان مجهولتا الكنه مختلفتان بتمام الحقيقة يكون كل منهما واجب الوجود بذاته ويكون مفهوم واجب الوجود منتزعا منهما مقولا عليهما قولا عرضيا فيكون الاشتراك بينهما في هذا المعنى العرضي المنتزع عن نفس ذات كل منهما والافتراق بصرف حقيقة كل منهما . (١)

فهو يدعي أن قوله بوحدة الوجود يدفع هذه الشبهة ، وكذلك ذكرها الطباطبائي في نهاية الحكمة

حيث قال : (وفي الأسفار أن أول من ذكرها الشيخ الإشراقي في المطارحات ، ثم ذكرها ابن كمونة ، وهو من شراح كلامه في بعض مصنفاته واشتهرت باسمه - بأنه لم لا يجوز أن تكون هناك ماهيتان بسيطتان مجهولتا الكنه متباينتان بتمام الذات ويكون قول الوجود عليهما قولا عرضيا ؟ ! وهذه الشبهة كما تجري على القول بأصالة الماهية المنسوب إلى الإشراقيين تجري على القول بأصالة الوجود وكون الوجودات حقائق بسيطة متباينة بتمام الذات المنسوب إلى المشائين . والحجة مبنية على أصالة الوجود وكونه حقيقة واحدة مشككة ذات مراتب مختلفة) (٢) .

وقد بقيت هذه الشبهة مستعصية على الفلاسفة قرابة ثلاثة قرون بلا حل حتى أسعفهم منهج الحديث بالحل من الامام الصادق (عليه السلام) المسمى بدليل الفرجةبعد أن غفلوا عنه قروناً يلهثون وراء سراب بقيعة يحسبه الضمأن ماء .

ونص الرواية في الكافي : بسنده عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك : إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا ، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول ، للعجز الظاهر في الثاني ، فإن قلت : إنهما اثنان ، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما ، والفلك جاريا ، والتدبير واحدا والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الامر والتدبير وائتلاف الامر على أن المدبر واحد ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمك ثلاثة ، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى نكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة (٣) .

ومن البديهي أن يكون ثمن الانصراف عن المعصوم التخبط في شبهة واحدة مثل هذه ثلاثة قرون ، ترى كم من الشبهات ضاعت لحلها بعيداً عن أهل البيت قرون عدة ؟؟؟ ولذلك قال الشهيد الثاني : (أعظم من هذا محنة ، وأكبر مصيبة ، وأوجب على مرتكبه إثما ، ما يتداوله كثير من المتسمين بالعلم من أهل بلاد العجم ، وما ناسبها من غيرهم في هذا الزمان حيث يصرفون عمرهم ويقضون دهرهم على تحصيل علوم الحكمة ، كعلم المنطق والفلسفة وغيرهما ، مما يحرم لذاته أو لمنافاته للواجب ، على وجه لو صرفوا جزاء منه على تحصيل العلم الديني

---

(١) الحكمة المتعالية - صدر الدين محمد الشيرازي - ج ٢ - ص ١٣١ - ١٣٣

(٢) نهاية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي - ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٨٠ – ٨١ .

الذي يسألهم الله تعالى عنه يوم القيامة سؤالا حثيثا ويناقشهم على التفريط فيه نقاشا عظيما لحصلوا ما يجب عليهم من علم الدين ، ثم هم مع ذلك " يحسبون أنهم يحسنون صنعا " بل يزعمون ان ما هم فيه أعظم فضيلة وأتم نفعا . وذلك عين الخذلان من الله سبحانه والبعد عنه .

بل الانسلاخ من الدين راسا أن يحيي من يزعم أنه من أتباع سيد المرسلين محمد واله الطاهرين دين أرسطو ومن شاكله من الحكماء ، ويهمل الدين الذي دان الله به أهل الارض والسماء . نعوذ بالله من هذه الغفلة ونسأله العفو والرحمة) (١) .

وحسبك من قوله ان هذه العلوم هي مما يحرم لذاته أو لمنافاته للواجب ما يوجب النفرة من هذه العلوم والابتعاد عنها .

وان كان الكلام مطلوبا فبلحاظ الأخذ بكلام الائمة المعصومين حيث ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله ليونس بن يعقوب : يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته ، قال يونس : فيالها من حسرة ، فقلت : جعلت فداك انى سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأصحاب الكلام يقولون ، هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله وهذا لا نعقله ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنما قلت : فويل لهم ان تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون (٢) .

ولو ترك القوم ما يريدون وأخذوا بما يقول أئمة الهدى لما تحيروا في شبهات المشككين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

---

(١) رسائل الشهيد الثاني ج١ ص ٥٦ . عنه سبيل المؤمنين ٣٢٨ .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٧١ .

إستكبار المدرسة الأصولية على منهج المحدثين :

لطالما إتسمت العلاقة بين مدرسة المحدثين أو ما يطلق عليها بالاخباريين وفقهاء المدرسة الاصولية بالتشنج والتقاطع . ويعود سبب ذلك الى شدة إستنكار المحدثين لطريقة الاصوليين كونها أجنبية عن منهج أهل البيت وأصحابهم ومن تقدم من فقهاء الشيعة ، وأنها مأخوذة من المخالفين في معظم جزئياتها . وهذا التشدد من قبل المحدثين كان يقابله هجوم أصولي يكون في غالبه كلامياً لكنه وصل الى الصدام والتقاتل .

فحينما إتهم الاصوليون محمد أمين الاسترابادي بأنه يطعن على جميع علماء الامامية رد الحر العاملي (قدس سره) في الفوائد الطوسية هذه التهمة بقوله : " أقول : الذين عرض صاحب " الفوائد المدنية " بالطعن عليهم - وهم خمسة لا غير كما يأتي - وقد عرض المعاصر بالطعن عليهم في أواخر رسالته كما عرفت ، بل صرح بذلك ، ولم يصرح صاحب " الفوائد المدنية " بالطعن عليهم وإنما رجح طريقة القدماء على طريقة المتأخرين بالنصوص المتواترة ، وذكر أن القواعد الأصولية التي تضمنتها كتب العامة غير موافقة لأحاديث الأئمة (عليهم السلام) وقد أثبت تلك الدعوى بما لا مزيد عليه ، ومن أنصف لم يقدر أن يطعن على أصل مطلبه ولا أن يأتي بدليل تام على خلاف ما ادعاه (١) . وقال أيضا في موضع آخر : ومن العجب ! دعواه أن صاحب " الفوائد المدنية " رئيس الأخباريين ، وكيف يقدر على إثبات هذه الدعوى ؟ مع أن رئيس الإخباريين هو النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) لأنهم ما كانوا يعملون بالاجتهاد ، وإنما كانوا يعملون في الأحكام بالأخبار قطعا ، ثم خواص أصحابهم ثم باقي شيعتهم في زمانهم مدة ثلاثمائة وخمسين سنة وفي زمان الغيبة إلى تمام سبعمائة سنة . انتهى كلامه رفعت أعلامه (٢) . وقال أيضا في موضع آخر : واعلم أن صاحب " الفوائد المدنية " ادعى أمرين : أحدهما : عدم جواز العمل بغير نص - إلى أن قال - : وقد أثبت الأمرين بما لا مزيد عليه وأورد جملة من الأدلة العقلية ونقل أحاديث متواترة فلا يمكن إبطال أصل مطلبه .

وقال في حقه المولى الفيض الكاشاني في ص١٢ من رسالته المسماة بـ " الحق المبين " ما هذا نصه : وقد اهتدى لبعض ما اهتديت له بعض أصحابنا من أستراباد كان يسكن مكة - شرفها الله - وقد أدركت صحبته بها ، فإنه كان يقول بوجوب العمل بالأخبار وإطراح طريقة الاجتهاد والقول بالآراء المبتدعة وترك استعمال الأصول الفقهية المخترعة ، ولعمري ! أنه قد أصاب في ذلك ، وهو الفاتح لنا هذا الباب وهادينا فيه إلى سبيل الصواب . أقول : إن المراد من هذا الباب : باب الرد وعدم الإصغاء لما أحدثه المتأخرونخلافاً للمتقدمين " (٣).

ثم بعد ذلك تمثلت المواجهة بين الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق الناضرة والوحيد البهبهاني الفقية الاصولي في كربلاء وفيها بدأت مرحلة الصراع الفكري بين ممثلي هذين الجناحين خاصة بعد أن أصبح مجلس الوحيد محاذياً لمجلس صاحب الحدائق ، حيث قيل الكثير عن تفاوت موقف الطرفين من بعضهما ، ووصل الأمر الى حد إفتاء الوحيد البهبهاني ببطلان الصلاة خلف الشيخ يوسف ، ولكن الاخير أفتى بصحة الصلاة خلف الوحيد ! واشتد الامر على

---

(١) الفوائد الطوسية للحر العاملي ص ٤٤٢ (٢) الفوائد الطوسية للحر العاملي ص ٤٤٦

(٣). الفوائد المدنية والشواهد المكية - محمد أمين الإستر آبادي ، تحقيق السيد نور الدين العاملي - ص ٦ – ٨ .

الاخبارية جداً بحيث ذُكِر أن السيد علي الطباطبائي وهو من بعض تلامذة الشيخ يوسف الذين حضروا عنده في كربلاء واستجازوا منه كان يحضر عندهسراً لا جهراً خوفاً من خاله .. الشيخ محمد باقر البهبهاني " (١) .

وكان لحكمة الشيخ البحراني دورٌ كبيرٌ في تحجيم الصراع حيث إنه هاجر الى مدينة المسيب لدرأ الفتنة حتى توفي فيها ودفن في كربلاء . بحيث أن الخوانساري يقول : " حتى أخلى الله البلاد منهم " .

وقد تأزمت العلاقة بين الفريقين بعد وفاة الشيخ يوسف البحراني يصاحبها إضطراب سياسي بسبب تهديدات الوهابية للأماكن المقدسة في النجف وكربلاء . وبعد ظهور الميرزا محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع الاخباري الذي مثل المدرسة الاخبارية في تلك الفترة حيث اتصل بالوحيد البهبهاني وتكلم عنه بصيغتين سلبيتين هما أن " له فوائد في أصول الفقه أتى فيها بالخطابيات والشعريات " وأنه كان كثير التشنيع على المحدثين ، وبه إندرست أعلام أحاديث أهل الأئمة المعصومين ، وطالت ألسنة المعاندين بشتائم المحدثين حتى آل الأمر الى تعدادهم من المبتدعين وأفتى بإخراجهم ... وصار المحدث الماهر الصارف العمر بقال الله وقال رسول الله ... أذل من اليهود والمجوس وأصحاب الحلول " ، وعمل مثل هذا ليس بالهين إذ لا بد أنه إقترن بنشاط فكري (ومادي) كبير حتى أدى الى هذه النتيجة التي أرخها الخوانساري بقوله " وإن كفانا مؤنة التعب في أمثال هذه المعاني ، مولانا المروج البهبهاني ، بلغه الله غاية الأماني ، في كتاب فوائده العتيق والجديد بما لا مزيد عليه من التشبيد والتشديد ودق مفارق كل مفارق لطريقة الاجتهاد الصحيح السديد ، بمقامع من حديد وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " (٢) .

وأستمر الاستكبار الاصولي بعد وصول جعفر كاشف الغطاء الى منصب المرجعية الاصولية متصدياً للميرزا الاخباري الذي مثل أهل الحديث . يقول الدكتور علي حسين الجابريمبيناً موقف الميرزا الاخباري : " والظاهر أن موقفه من النشاط الاجتهادي لم يكنمتطرفاً في البداية ،حيث كان على صلة حميمة بالوحيد وابنه الاقا محمد علي ومن المحتمل جداً أن الحملة المكثفة التي أنطلقت كالبركان بعد فترة محافظة هي التي وسمت موقف المجددين بالتطرف ، مما فرض على الميرزا بعد أن طورد أتباعه ، أن يتصلب في مواقفه الفكرية ويرد تهمة بتهمة ورسالة برسالة ، حتى غلب على رسائلة الاخيرة طابع التطرف فتعززت بذلك مكانته العلمية وقد شعر هو خلال زحمة الاحداث أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدعوه الى القيام بمهمته تجاه الخطر الوهابي فكتب (فصل الخطاب في نقض مقالة ابن عبد الوهاب)(٣) .

ووصل الاستكبار الاصولي ذروته تجاه أهل الحديث بأصدار فتوى بقتل الميرزا الاخباري . يقول أبو الحسن علي جعفر مكي ال جساس القطيفي في مقدمة تحقيقه لكتاب الميرزا الموسوم (كشف القناع عن عورة الاجماع) : " وذكر أنه خرج من أصفهان وتوجه الى طهران وكان قد حل فيها الشيخ جعفر كاشف الغطاء في تلك الاقطار ،وحصلت له مع المترجَم مناظرات وإمتعض من دوره في نشر النهج الاخباري ، فشن مع أتباعه حملة ضده ، وبعث رسالة تحريضية الى الشاه وسمها بـ (كشف الغطاء عن معايب ميرزا محمد عدو العلماء) وأرخها

---

(١) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنى عشرية ص٤٩٥ الدكتور حسين الجابري .

(٢) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية ص ٥١٠ الدكتور علي حسين الجابري .

(٣) الفكر السلفي عند اشيعة الاثنا عشرية ص ٥١٢ الدكتور علي حسين الجابري .

مخاطباً لأهل طهران " ميرزا محمدكم لا مذهب له " ووشا به فترك إيران أواخر عام ١٢٢١ هـ " (١).

ويقول يأضاً : " وقصد كربلاء والنجف ، وهناك أيضا ضيق عليه العلماء الاصوليون الخناق ، واستفتوا فيه الشيخ كاشف الغطاء ، فأفتى بما صورته – كما في العبقات – " والقتل أرجح الامرين والنفي أحوط القولين ، وخصوصا مع العجز " (٢) .

ثم توالت الاحداث حتى موت كاشف الغطاء ورجوع الميرزا الى الكاظمية واستقراره بها ، وتولي الشيخ موسى كاشف الغطاء للمرجعية بعد والده . فبدأت المدرسة الأصولية تحوك مؤامرة لقتل الميرزا تعد وصمة عار ونقطة سوداء في جبين الحوزة الأصولية . حتى أن الشيخ احمد بن زين الدين الأحسائي قد نبهه الى ذلك وحذره في رسالة كتبها اليه قائلا : " لأني والله قد سمعت من أناس قد تعاهدوا من لا يُعرف ولا يُقدر على الانتصار منه ولا القصاص من قتلك ، فتفوَّتُ عليك الدنيا والاخرة ، والله الله في نفسك . وكتب أحمد ابن زين الدين والسلام " .

ويبدو أن الميرزا قد احس بالخطر على حياته فأرخ سنة وفاته بقوله "صدوق غُلِب " .والذي يساوي في حساب الجمل ١٢٣٢ هـ (٣) .

منفذو الجريمة هم أعمدة المدرسة الأصولية :

من تتبع تفاصيل القصة يظهر لنا أن القائمين على تنفيذ الجريمة وتهيئة مقدماتها هم من كبار رجالات حوزة أصول الشافعي المتلبسة بلباس التشيع . حيث " ذكر صاحب العبقات العنبرية – وهو حفيد المفتي بالقتل – أن الشيخ موسى كاشف الغطاء والسيد محمد بن المير علي كانا يسعيان في تهيئة أسباب القتل ، وكتب الثاني للاول صورة إستفتاء ، فكتب الاول فتوى بقتله – وكان أوبه قد أفتى بنفيه بعد أن عجز عن قتله – وأمضاه السيد محمد وبعثوه الى السيد عبد الله شبر والشيخ أسد الله الكاظمي والسيد محسن صاحب المحصول ، فأمضوه وقرأه رسول السيد شبر على العوام ودعاهم لأمتثاله . ثم هجم القوم على دار الميرزا وقتلو ه هو وولده الأكبر واحد تلامذته ، ولم يكتفوا بذلك ، بل قطعوا الرؤوس ومثلوا بالجثث وتركوه ثلاثاً عارياً بلا دفن . (٤)

هؤلاء هم القتلة ، المرجع الأعلى وعدد من المجتهدين في حوزة الاصول الشافعية لأنهم أفتوا بالقتل وحرضوا عليه . فتوى ظنية إجتهد فيها مجتهد فهل سيكون ماجوراً كما ينص الحديث الذي رواه عمرو ابن العاص ؟؟ وماذا سيجيبون الله ورسوله إذا سائلهم عن هذه الجريمة النكراء ؟

---

(١) مقدمة كشف القناع عن عورة الاجماع تحقيق ابو الحسن القطيفي ص ١١ عن روضات الجنات ج٢ ص ٢٠٢ – ٢٠٦ .

(٢)كشف القناع ص ١١ . عن العبقات العنبرية ص ١٠٣ محمد الحسين ال كاشف الغطاء .

(٣) مقدمة كشف القناع عن عورة الاجماع تحقيق ابو الحسن القطيفي ص ٤٠ .

(٤) مقدمة كشف القناع عن عورة الاجماع تحقيق ابو الحسن القطيفي ص ٤١ نقلا عن العبقات العنبرية بالمعنى ص ١٨٥ ، ١٨٦.

ولا يحضرني وصف ينطبق على هؤلاء إلا ما ورد عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) في وصف فقهاء السوء من فقهاء اليهود : " وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم " (١).

ويقول الامام أيضاً في صفات فقهاء السوء من هذه الامة : " والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً ، وبالترفرف بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانةمستحقاً "(٢) .

ولا تظن إنهم إكتفوا بذلك الاستكبار، فهم أسوأ مما تتصور بكثير . فقد إحتفى المفتي – الشيخ موسى – بالزواجبإبنة المنفذ للفتوى سروراً بذلك . فإنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون .

فقهاء السوء أهم العقبات أمام الامام المهدي (عليه السلام) :

ولعمري سيكون أمثال هؤلاء عقبة كؤوداً معرقلة أمام الحجة إبن الحسن (صلوات الله عليه وعلى آبائه) وقت ظهوره الشريف عجل الله لنا ظهوره ، لأن الامام سيفضح حقيقتهم ويبين عوار منهجهم ويعرف الشيعة بفسقهم وفساد سيرتهم لأنهم أخفوا أمر أهل البيت واستبدلوه بما عند المخالفين . وقد ورد في الحديث أن المهدي سمي مهدياً لأنه يهدي الى أمر قد خفي .

فعن أبي جعفر (عليه السلام) : " إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية ، وعدل في الرعية ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله ، وإنما سمي المهدي مهديا لأنه يهدي إلى أمر خفي ، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية ، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل القرآن بالقرآن ، وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها "(٣) .

وعن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم الحضرمي ، عن أبي سعيد الخراساني قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : المهدي والقائم واحد ؟ . فقال : نعم . فقلت : لأي شئ سمي المهدي ؟ . قال : لأنه يهدي إلى كل أمر خفي ، وسمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت ، إنه يقوم بأمر عظيم " (٤).

وعن السيد إبن طاووس قال : " حدثنا نعيم ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن مطر الوراق عمن حدثه عن كعب ، قال : إنما سمي المهدي ، لأنه يهدى لامر قد خفي ، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها : أنطاكية " (٥).

---

(١)(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٢٦٣ .

(٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٤٢ - ٢٤٣

(٤) الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٧١

(٥) الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٤٢

وبسبب ذلك فإن الفقهاء سيحاولون عرقلة حركة الامام المهدي ويألبون عليه الناس . ويمكن قراءة هذه الحقيقة من خلال الروايات الشريفة الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) . ومما سيفعله هؤلاء مع القائم (عليه السلام) :

اولاً : سيحاججونه بالقرآن ويقاتلونه عليه :

وهذا ما تضمنته جملة من الروايات الشريفة ، منها :

عن محمد بن مروان ، عن الفضيل بن يسار ، قال : " سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جهال الجاهلية . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة ، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به ، ثم قال : أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر"(١) .

وعن محمد بن سنان ، عن الحسين بن مختار ، عن أبي حمزة الثمالي ، قال : " سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : إن صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقي من الناس ما لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكثر"(٢) .

وعن محمد بن أبي حمزة ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : " سمعته يقول : إن القائم (عليه السلام) يلقى في حربه ما لم يلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة ، وإن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلون عليه"(٣) .

وما ذلك إلا لأنهم لم يعرفوا الحق من كتاب الله . فقد ورد في حديث العترة عن علي بن إسحاق ، عن داود ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من لم يعرف الحق من القرآن لم يتنكب الفتن (٤) .

ثانيا : يستنكرون افعاله :

فقد ورد أنهم يشكون في صحة ما يقوم به الامام الى درجة يقولون فيها بأنه ليس من آل محمد .

ففي غيبة النعماني عن محمد بن علي الكوفي ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، قال : " سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه ، مما يقتل من الناس ، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم " (٥).

---

(١) . كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٠٧

(٢) (٣) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٠٨ .

(٤) المحاسن - ج ١ - ص ٢١٦ .

(٥) كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٣٨ .

وفي غيبة الطوسي عن أحمد بن عثمان ، عن أحمد بن رزق ، عن يحيى بن العلاء الرازي ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ينتج الله تعالى في هذه الأمة رجلا مني وأنا منه ، يسوق الله تعالى به بركات السماوات والأرض ، فينزل السماء قطرها ، ويخرج الأرض بذرها ، وتأمن وحوشها وسباعها ، ويملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئتظلماً وجوراً ، ويقتل حتى يقول الجاهل : لو كان هذا من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرحم" (١) .

خصوصاً إذا عرفنا أن كثيراً من فقهاء الشيعة اليوم يكذبون الروايات التي تنص على أن المهدي يضع السيف في أعدائه ويقولون إنه سيأتي الناس بالحجة والدليل فيسلمون له ، وأنه يفتح العالم سلمياً . لكن روايات اهل البيت تكذبهم ، وهم إنما يردون هذه الروايات لأنها تضعهم في خانة أعدائه . فقد ورد :

عن أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدثنا محمد بن سالم بن عبد الرحمن الأزدي من كتابه في شوال سنة إحدى وسبعين ومائتين ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد الطويل ، عن أحمد بن سليمان ، عن موسى بن بكر الواسطي ، عن بشير النبال ، قال : " قدمت المدينة ، وذكر مثل الحديث المتقدم ، إلا أنه قال : لما قدمت المدينة قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنهم يقولون : إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمورعفواً ، ولا يهريق محجمة دم ، فقال : كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفوا لاستقامت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أدميت رباعيته ، وشج في وجهه ، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ، ثم مسح جبهته " (٢) .

وعن محمد بن حسان الرازي ، قال : حدثنا محمد بن علي الكوفي ، عن معمر ابن خلاد ، قال : " ذكر القائم عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، فقال : أنتم اليوم أرخى بالا منكم يومئذ ، قالوا : وكيف ؟ قال : لو قد خرج قائمنا (عليه السلام) لم يكن إلا العلق والعرق والنوم على السروج ، وما لباس القائم (عليه السلام) إلا الغليظ ، وما طعامه إلا الجشب " (٣)

ثالثا : يقولون له إرجع ،وهذا ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام ايضاً :

فقد نقل المجلسي عن الشيخ المفيد في الإرشاد : روى أبو الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه قال : إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة ، فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس يدعون البترية عليهم السلاح فيقولون له : إرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة ، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ، ثم يدخل الكوفة ، فيقتل بها كل منافق مرتاب ، ويهدم قصورها ، ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عز وعلا " (٤).

والبترية كما بينتهم الروايات قوم يظهرون الولاء لأهل البيت ويتولون الشيخين أيضاً . ونحن بعد أن عرفنا سيرة فقهاء الشيعة في أخذ ما عند المخالفين والعمل به ورد حديث أهل البيت ، أمكننا معرفة من هم البترية .

---

(١) . الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٨٨ .

(٢) (٣) كتاب الغيبة - للنعماني - ص ٢٩٤ – ٢٩٦

(٤) بحار الأنوار - ج ٥٢ - ص ٣٣٨ .

روى الشيخ الصدوق عن سدير قال : " دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) ومعي سلمة ابن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد وسالم بن أبي حفصة وكثير النواء وجماعة منهم ، وعند أبي جعفر (عليه السلام) أخوه زيد بن علي (عليه السلام) فقالوا لأبي جعفر (عليه السلام) : نتولى عليا وحسنا وحسينا ونتبرأ من أعدائهم ، قال : نعم ، قالوا : فنتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم ، قال : فالتفت إليهم زيد بن علي (عليه السلام) وقال لهم : أتتبرؤون من فاطمة (عليها السلام) بترتم أمرنا بتركم الله ، فيومئذ سموا البترية .

وروى باسناده عن ابن أبي عمير ، عن سعد الجلاب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : " لو أن البترية صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما أعز الله بهم دينا " (١).

وكما هو معروف فإن عقيدة مراجع الحوزة وأتباعهم قريبة جداً من عقيدة البترية ، فهم يترضون على أعداء أهل البيت ، ويدعون الى التقريب بين المذاهب ونسيان الماضي ، لذلك فمن الراجح ان يكون البترية الذين يقتلهم الامام المهدي هم من أتباعهم .

إن لكلمة هؤلاء الفقهاء أثر في الناس ، وبما أن أغلب الناس في المجتمع الشيعي تتبع هؤلاء فإن موقف الناس سيكون تبع لكلمتهمأمام المهدي المنتظر سلباً أو إيجاباً . ومن خلال تصور هذا الحال يمكننا فهم تصريح أهل بيت العصمة بأنه لا يثبت على القول به الا القليل .

فقد روى الصدوق قال : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي ، عن علي بن عثمان ، عن محمد بن - الفرات ، عن ثابت بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي ، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما ، والذي بعثني بالحق بشيرا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر ، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال : إي وربي ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، يا جابر إن هذا الامر (أمر) من أمر الله وسر من سر الله ، مطوي عن عباد الله ، فإياك والشك فيه فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر"(٢) .

وقال ايضا : حدثنا محمد بن علي بن بشار القزويني رضي الله عنه قال : حدثنا أبو الفرج المظفر بن أحمد قال : حدثنا محمد بن جعفر الكوفي قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال : حدثنا الحسن بن محمد بن صالح البزاز قال : سمعت الحسن بن علي العسكري عليهما السلام يقول : إن ابني هو القائم من بعدي وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد فلا يثبت على القول به إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الايمان وأيده بروح منه"(٣) .

فكيف يكون الثابتون على الايمان به والقول به أعز من الكبريت الاحمر وهذه دول التشيع عامرة وعقيدة انتظار المهدي منتشرة فيها ؟ إلا ان يقال أن المهدي سيأتي بما لا يقبله الفقهاء فيعارضونه ويفتون بمحاربته والسواد الاعظم من الناس يسير خلفهم . لكن من هم هؤلاء الأعز من الكبريت الاحمر ؟؟ اللهم ثبتنا على دينك .

وحسبك ما وراه الصفار في بصائره عن أحمد بن محمد عن محمد إسماعيل عن سعدان بن مسلم بن معاوية ابن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل راوية لحديثكم يبث ذلك إلى الناس ويسدده في قلوب شيعتكم ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل قال

---

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٤ - ص ٥٤٤ - ٥٤٥

(٢) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧ - ٢٨٨

(٣) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥٢٤ .

الراوية لحديثنا يبث في الناس ويسدده في قلوب شيعتنا أفضل من الف عابد"(١) .

رابعاً : فساد سيرتهم تعيق دخول الناس في أمر الامام لأن الناس كرهت سيرتهم واستقبحت أفعالهم ، فقد ورد أن الناس ستلعن راية الامام بسبب ما لقيته منهم :

روى النعماني في غيبته : أخبرنا علي بن أحمد ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى العلوي ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن قتيبة الأعشى ، عن أبان بن تغلب ، قال : " سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول : إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق وأهل المغرب ، أتدري لم ذلك ؟ قلت : لا . قال : للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه "

وروى أيضاً : أخبرنا عبد الواحد بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن جعفر القرشي ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن قتيبة الأعشى ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : " إذا رفعت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب . قلت له : مم ذلك ؟ قال : مما يلقون من بني هاشم " (٢)

---

(١)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٧ .
(٢)كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٠٨ - ٣٠٩

الخاتمة : العودة الى منهج أهل البيت :

بعد هذا الاستعراض الذي أجده كافياً في بيان ما مر به الشيعة بعد غيبة أمام زمانهم وتشتت كلمتهم وتطرق الفتن اليهم ، وابتعادهم عن منهج المعصومين بسبب إنزلاق فقهائهم في مزالق المخالفين ، فإني أنصح كل من يقرأ هذه السطور بالرجوع الى المنبع الصافي ، حديث أهل البيت الذي كان آخر وصية لإمام الزمان أوصى بها الشيعة ، كما ورد في التوقيع : " وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم " .
ونصيحتي هذه تستلزم أموراً عدة : منها :

اولاً : التسليم لحديث أهل البيت وعدم رده وتكذيبه وإيكال علم ما استعصى فهمه اليهم : حيث ورد هذا المعنى في كثير من حديثهم سلام الله عليهم :

عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن سنان ، عن ابن مسكان عن سدير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : "إني تركت مواليك مختلفين يتبرء بعضهم من بعض قال : فقال : وما أنت وذاك ، إنما كلف الناس ثلاثة : معرفة الأئمة ، والتسليم لهم فيما ورد عليهم ، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه"(١) .

عن أحمد بن محمد البرقي ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حماد بن عثمان ، عن عبد الله الكاهلي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : " لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشئ صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله الا صنع خلاف الذي صنع ، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا هذه الآية " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : عليكم بالتسليم"(٢) .

عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار ، عن زيد الشحام ، عن عبد الله عليه السلام قال قلت له : " إن عندنا رجلا يقال له كليب ، لا يجيئ عنكم شئ إلا قال : أنا أسلم ، فسميناه كليب تسليم ، قال : فترحم عليه ، ثم قال : أتدرون ما التسليم ؟ فسكتنا ، فقال : هو والله الاخبات ، قول الله عز وجل : " الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم " (٣).

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٩٠ - ٣٩١

(٢)(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٩٠ - ٣٩١

وعن علي بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن الخشاب ، عن العباس بن عامر ، عن ربيع المسلي ، عن يحيى بن زكريا الأنصاري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : " من سره أن يستكمل الايمان كله فليقل : القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد ، فيما أسروا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني"(١)

وعن محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلا من كتاب مسائل الرجال لعلي بن محمد (عليه السلام) ، أن محمد بن علي بن عيسى كتب إليه ، يسأله عن العلم المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك (عليهم السلام) قد اختلف علينا فيه ، فكيف العمل به على اختلافه ؟ أو الرد إليك فيما اختلف فيه ؟ فكتب (عليه السلام) : "ما علمتم أنه قولنا فالزموه ، وما لم تعلموا فردوه إلينا" (٢) .

وعن الحسن بن محمد الطوسي في (الأمالي) عن أبيه ، عن المفيد ، عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) - في حديث - قال : "انظروا أمرنا وما جاءكم عنا ، فان وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقا فردوه ، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده ، وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا" (٣)

ثانياً : المواظبة على اللقاء بالموالين المهتمين بحديث أهل البيت والتذاكر فيه مع الاخوان حيث ورد الندب الى ذلك في طائفة من رواياتهم :

عن فضالة بن أيوب عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : شيعتنا الرحماء بينهم ، الذين إذا خلوا ذكروا الله [إن ذكرنا من ذكر الله] إنا إذا ذكرنا ذكر الله وإذا ذكر عدونا ذكر الشيطان" (٤)

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : "تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكرا لأحاديثنا ، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم ، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم"(٥) .

---

(١) الكافي - ج ١ - ص ٣٩٠ - ٣٩١

(٢)(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ٢٧ - ص ١١٩ – ١٢٠

(٤)(٥) الكافي - ج ٢ – ص١٨٦ - ١٨٧

وعن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابن مسكان ، عن ميسر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال لي :" أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم ؟ فقلت : إي والله إنا لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا ، فقال : أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن ، أما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم ، وإنكم على دين الله ودين ملائكته فأعينوا بورع واجتهاد"(١) .

وعن أبي الصباح عن خثيمة الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال أردت ان أودعه فقال : " يا خثيمة أبلغ موالينا السلام واوصهم بتقوى الله واوصهم ان يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم وان يشهد حيهم جنازة ميتهم وان يتلاقوا في بيوتهم فإن لقاء بعضهم بعضا في بيوتهم حياة لامرنا رحم الله عبدا أحيى أمرنا يا خثيمة أبلغ موالينا انا لسنا نغني عنهم من الله شيئا الا بعمل وانهم لن ينالوا ولايتنا الا بورع وان أعظم الناس حسرة يوم القيمة من وصف عدلا ثم خالفه إلى غيره"(٢) .

ثالثاً : الاهتمام بحديث أهل البيت والمداومة على قراءته وحفظه قدر المستطاع . فإنه يشد القلوب ويثبت الايمان . ففي عدد من الروايات بين المعصوم مكانة الراوية للحديث .

عن علي بن حنظلة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنا"(٣) .

عن سعدان بن مسلم بن معاوية ابن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : " رجل راوية لحديثكم يبث ذلك إلى الناس ويسدده في قلوب شيعتكم ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل قال الراوية لحديثنا يبث في الناس ويسدده في قلوب شيعتنا أفضل من الف عابد" (٤) .

وعن معاوية بن وهب قال :" سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين أحدهما فقيه راوية للحديث والاخر عابد ليس له مثل روايته فقال الراوية للحديث المتفقه في الدين أفضل من الف عابد لا فقه له ولا رواية " (٥) .

رابعاً : أخذ العلم عن أهل البيت فقط وترك ما عند غيرهم لأنه باطل ، وفي روايات كثيرة صرح المعصومون بذلك .

حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن ربعي عن فضيل بن يسار قال : " سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل"(٦)

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ – ص١٨٦ - ١٨٧

(٢) الأصول الستة عشر - عدة محدثين - ص ٧٨ - ٧٩

(٣) الكافي - ج ١ - ص ٥٠

(٤)(٥) بصائر الدرجات - ص٢٧ – ٢٨

(٦) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٥٣١

وعن علي بن إبراهيم بن هشام ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسكان ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام "(١).

عن أحمد بن محمد عن ابن أبي نصر ، عن مثنى ، عن زرارة قال : " كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : " سلوني عما شئتم فلا تسألوني عن شئ إلا أنبأتكم به " قال : إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فليذهب الناس حيث شاؤوا ، فوالله ليس الامر إلا من ههنا ، وأشار بيده إلى بيته"(٢) .

وعن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن أبي مريم قال قال : "أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : شرقا وغربا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت"(٣) .

وعن النضر بن سويد عن يحيى بن الحلبي عن معلى بن أبي عثمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :" قال لي إن الحكم بن عتيبة ممن قال الله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين فليشرق الحكم وليغرب اما والله لا يصيب العلم الا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام "(٤) .

وعن أبان بن عثمان عن أبي بصير قال :" سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز قال لا فقلت ان الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز فقال اللهم لا تغفر له ذنبه ما قال الله للحكم انه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون فليذهب الحكم يمينا وشمالا فوالله لا يوجد العلم الا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل" (٥) .

خامساً :تعلّم قواعد الدراية من حديث أهل البيت وعدم الاكتفاء بالرواية وقد ورد الندب الى ذلك في كلماتهم سلام الله عليهم .

وعن محمد بن أبي عمير ، عن إبراهيم الكرخي ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : "حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكمفقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعينوجهاً لنا من جميعها المخرج"(٦) .

---

(١)(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٩٩

(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٩٩

(٤)(٥) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٩ – ٣٠

(٦) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ٢

وعن داود بن فرقد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إن الكلمة لتنصرف على وجوه فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب" (١) .

وعن ابن أبي عمير ، عن زيد الزراد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : "يا بني إعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإن المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان " (٢).

وفي عيون أخبار الرضا (ع) قال : من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ، ثم قال عليه السلام : " إن في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ، ومحكما كمحكم القرآن ، فردوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا " (٣).

وختاما ندعو الله بدعاء الغريق ليجنبنا فتن آخر الزمان ، ولا توجد فتنة أكبر من الوقوف في صف أعداء القائم : حيث روى الصدوق عن محمد بن مسعود قال : وجدت بخط جبرئيل بن أحمد : حدثني العبيدي محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ، ولا إمام هدى ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق ، قلت : كيف دعاء الغريق ؟ قال : يقول : " يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقلت : " يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك " قال : إن الله عز وجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول لك : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " (٤).

والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد واله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والاخرين الى قيام يوم الدين واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١)(٢) بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٨٣ - ١٨٤

(٣) بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٨٥

(٤) كمال الدين وتمام النعمة - ص ٣٥١ – ٣٥٢.